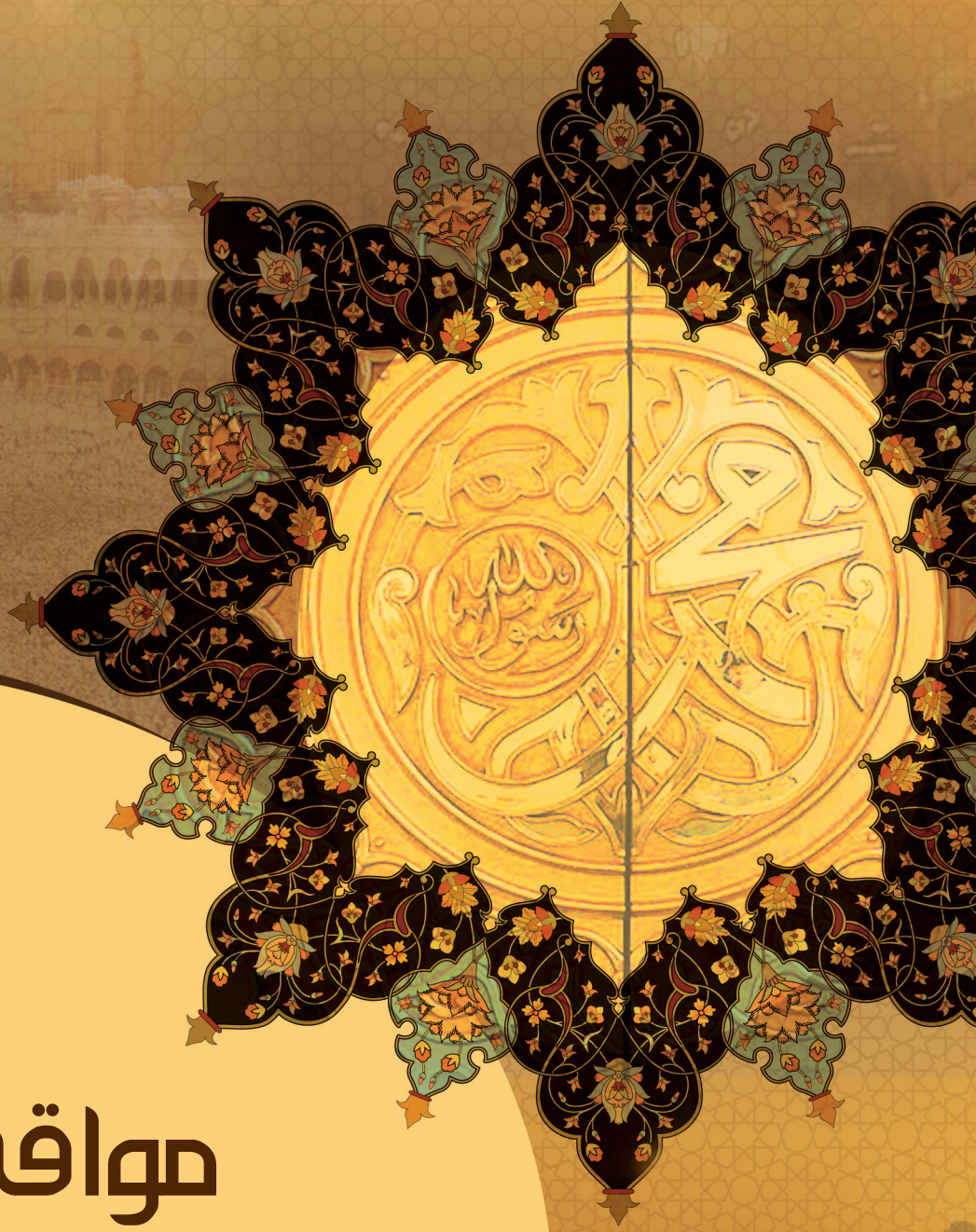


رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

www.rasoulallah.net



عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ

مواقف النبي

في الدعوة إلى الله تعالى

أسعيد بن علي بن وهف القحطاني





رسول الله

كم منكم تسائل من هو نبي الإسلام؟

من هو محمد صلى الله عليه وسلم؟

لماذا يتحدث عنه معظم الناس سواء كانوا يعرفونه أم لا؟

لماذا يستمر الإعلام في نشر أي نوع من الأخبار عن المسلمين وعن نبي الإسلام محمد

صلى الله عليه وسلم؟

هل ترغب في معرفة المزيد عن هذا النبي؟ وتعرف الحقائق عن سيرته ولماذا يمثل تلك

الأهمية للمسلمين وغير المسلمين على السواء؟

الرجاء زيارة موقع رسول الله www.rasoulallah.net

فهو موقع يخبر غير المسلمين عن نبي الإسلام ويرضي فضولهم، كما يشجع المسلمين

لاتباع سنته

وكل ذلك في ١٤ لغة مختلفة.

إنه..... رسول الله

www.rasoulallah.net



المحتويات

- ٤..... مواقف النبي ﷺ مع زعيم المنافقين عبد الله بن أبي.....
- ٩..... موقفه الحكيم في الكرم والجود.....
- ١٢..... موقفه مع من شفع في ترك إقامة الحد.....
- ١٤..... موقفه مع الشاب الذي استأذنه في الزنا.....
- ١٩..... موقفه مع الطفيل بن عمرو الدوسي.....
- ٢١..... موقفه مع معاوية بن الحكم.....
- ٢٣..... موقفه مع الأعرابي الذي بال في المسجد.....
- ٢٦..... موقفه مع اليهودي زيد بن سحنة، أحد أخبار اليهود.....
- ٢٨..... موقفه مع الأعرابي الذي أراد قتله.....
- ٣٠..... مواقف الحكمة الفردية.....
- ٣٣..... ومن مواقفه التي تزخر بالحكمة والشجاعة.....
- ٣٥..... مواقفه التي تزخر بالحكمة والشجاعة ما فعله في معركة حنين.....
- ٣٨..... مواقفه الحكيمة في غزوة أحد.....
- ٤١..... مواقفه الحكيمة.....
- ٤٤..... مواقف الحكمة في حسن الإعداد للقتال، والشجاعة والبطولة.....
- ٥٣..... مواقف النبي بعد الهجرة _ الجزء الاول.....
- ٦٠..... من مواقفه الحكيمة في الأسواق والمواسم.....
- ٦٤..... حكمته في دخوله إلى مكة في جوارالمطعم بن عدي.....
- ٦٦..... حكمته العظيمة في جوابه لملك الجبال.....
- ٦٨..... مواقف النبي بعد خروجه إلى الطائف.....
- ٧٠..... أساليب سادات قريش.....
- ٧٩..... مواقفه في مرحلة الدعوة الجهرية بمكة.....
- ٨٣..... المبحث الأول: مواقف النبي قبل الهجرة.....
- ٨٦..... مكانة مواقف النبي في نفس الداعية والمدعو.....



مواقف النبي ﷺ مع زعيم المنافقين عبد الله بن أبي

قدم النبي المدينة، وقد أجمع الأوس والخزرج على تمليك عبد الله بن أبي، ولم يختلف عليه في شرفه اثنان، ولم تجتمع الأوس والخزرج قبله ولا بعده على رجل من أحد الفريقين، وكانوا قد نظموا له الخرز، ليُتَّوَّجوه ثم يملكوه عليهم، فجاءهم الله - تعالى - برسول الله وهم على ذلك، فلما انصرف قومه عنه إلى الإسلام، امتلأ قلبه حقدًا وعداوة وبغضًا، ورأى أن رسول الله قد استلبه ملكه، فلما رأى قومه أبوا إلا الإسلام، دخل فيه كارهاً مصرّاً على النفاق والحقد والعداوة ([١])، ولم يأل جهداً في الصد عن الإسلام، وتفريق جماعة المسلمين، والذب عن اليهود ومساعدتهم.

وقد ظهرت مواقفه الخبيثة في معاداته لدعوة الإسلام، ولكن عن طريق التستر والنفاق، وقد كان النبي يقابل عداوته بالعفو والصفح والحلم؛ لأنه يُظهر الإسلام؛ ولأن له أعواناً من المنافقين، هو رئيسهم وهم تبع له، فكان يحسن إليه بالمقال والفعل، ويقابل إساءته بالعفو والإحسان في عدة مواقف، منها على سبيل المثال ما يأتي:

(أ) شفاعته لليهود (بنو قينقاع) عندما نقضوا العهد:

نقض بنو قينقاع العهد بعد بدر بكشف عورة امرأة من المسلمين في السوق، وبقتل رجل نصرها من المسلمين ([٢])، فسار إليهم رسول الله يوم السبت للنصف من شوال، على رأس عشرين شهراً من الهجرة، وحاصرهم خمسة عشر يوماً، وتحصنوا في حصونهم، فحاصرهم أشد الحصار، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فنزلوا على حكم رسول الله فأمر بهم فَكُتِفُوا، وكانوا سبعمائة مقاتل، فقام إلى النبي عبد الله بن أبي حنينة أمكنه الله منهم، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، فأبطأ عليه رسول الله، فقال: يا محمد، أحسن في موالي، فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع النبي، وقال: والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربع مائة حاسر، وثلاث مائة دارع ([٣])، قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فوهبهم النبي له ([٤])، وأمرهم أن يخرجوا من المدينة ولا يجاوروه بها، فخرجوا إلى أذرعات من أرض الشام، وقبض منهم أموالهم، وخمس غنائمهم صلوات الله وسلامه عليه ([٥]).

(ب) ما فعله مع النبي يوم أحد:

خرج النبي إلى معركة أحد، فلما صار بين أحد والمدينة انخزل عبد الله بن أبي بنحو ثلث العسكر، ورجع بهم إلى المدينة فتبعهم عبد الله بن عمرو بن حرام، والد جابر فويّخهم، وحضهم على الرجوع، وقال: تعالوا قاتلوا في سبيل الله أو ادفعوا، قالوا: لو نعلم أنكم تقاتلون لم نرجع، فرجع عنهم وسبهم ([٦]). فلم يعاقبه رسول الله على هذا الجرم العظيم، وتخذيّل المسلمين.

(ج) صدّه الرسول ﷺ عن الدعوة إلى الله تعالى:

ركب النبي إلى سعد بن عبادة، فمر بعدو الله عبد الله بن أبي وحوله رجال من قومه، فنزل فسلم ثم جلس قليلاً، فتلا القرآن، ودعا إلى الله، وذكر بالله، وحذر وبشر وأنذر، وعندما فرغ النبي من مقالته، قال له عبد الله بن أبي: يا هذا، إنه لا أحسن من حديثك هذا، إن كان حقاً فاجلس في بيتك فممن جاءك فحدثه إياه، ومن لم يأتك فلا تغته ([٧])، ولا تأته في مجلسه بما يكره منه ([٨])، فلم يؤاخذه النبي وعفا عنه وصفح.



(د) تثبيته بني النضير:

عندما نقض يهود بني النضير العهد بهمَّهم بقتل النبي ، بعث إليهم محمد بن مسلمة يأمرهم بالخروج من جواره وبلده، فبعث إليهم أهل النفاق - وعلى رأسهم عبد الله بن أبي - أن اثبتوا وتمنعوا فإننا لن نسلمكم، إن قُوتلتم قاتلنا معكم، وإن أُخرجتم خرجنا معكم، فقويت عزيمة اليهود، وناذبوا رسول الله بنقض العهد، فخرج إليهم حتى نزل بهم وحاصرهم، فقذف الله في قلوبهم الرعب، وأجلاهم النبي وخرجوا إلى خيبر، ومنهم من سار إلى الشام ([٩]).

وترك النبي عبد الله بن أبي فلم يعاقبه على ذلك.

(هـ) كيد و غدره للنبي ومن معه من المسلمين في غزوة المريسيع:

في هذه الغزوة قام عبد الله بن أبي بعدة مواقف مخزية توجب قتله وعقابه منها:

- ١- دبر المنافقون في هذه الغزوة قصة الإفك، وتولى كبره عبد الله بن أبي بن سلول ([١٠]).
 - ٢- وفي هذه الغزوة قال عبد الله بن أبي: ﴿لَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾ ([١١]).
 - ٣- وفي هذه الغزوة قال عدو الله: ﴿لَا تَنْفِقُوا عَلَيَّ مِنْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنْفُضُوا﴾ ([١٢]).
- وقد ظهرت الحكمة المحمدية، وتجلت السياسة الرشيدة في إخماد النبي نار الفتنة، وقطع دابر الشر - بفضل الله ثم بصره - على عبد الله بن أبي، وتحمله له، والإحسان إليه، ومقابلة هذه المواقف المخزية من هذا الزعيم المنافق بالعفو؛ لأن هذا الرجل له أعوان، ويخشى من شرهم على الدعوة الإسلامية؛ ولأنه يظهر إسلامه، ولهذا قال النبي لعمر بن الخطاب - حينما قال: يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق :- ((دعه حتى لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه)) ([١٣]).

فلو قتله رسول الله لكان ذلك منقراً للناس عن الدخول في الإسلام؛ لأنهم يرون أن عبد الله بن أبي مسلم، ومن ثم سيقول الناس: إن محمداً يقتل المسلمين، فعند ذلك تظهر المفاصد، وتتعطل المصالح.

فظهرت حكمة النبي وصبره على بعض المفاصد خوفاً من أن تترتب على ذلك مفسدة أعظم؛ ولتقوى شوكة الإسلام، وقد أمر بالحكم الظاهر، والله يتولى السرائر.

وقد ظهرت الحكمة لعمر بعد ذلك في عدم قتل عبد الله بن أبي فقال: «قد والله علمت، لأمر رسول الله أعظم بركة من أمري» ([١٤]).



وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله أن يسلكوا طريق الحكمة في دعوتهم اقتداءً بنبيهم .
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه ومن
تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

- [١] انظر: سيرة ابن هشام، ٢١٦/٢، والبداية والنهاية، ١٥٧/٤.
- [٢] انظر: سيرة ابن هشام، ٤٢٧/٢، والبداية والنهاية، ٤/٤، والرحيق المختوم، ص ٢٢٨، وهذا الحبيب، ص ٢٤٦.
- [٣] الحاسر: هو الذي لا درع له، والدارع: هو لابس الدرع. انظر: المعجم الوسيط، مادة (حسر)، ١٧٢/١، ومادة (درع)، ٢٨٠/١.
- [٤] انظر: سيرة ابن هشام، ٨٢٤/٢، والبداية والنهاية لابن كثير، ٤/٤.
- [٥] انظر: زاد المعاد، ١٢٦/٣، ١٩٠.
- [٦] انظر: زاد المعاد في هدي خير العباد، ١٩٤/٣، وسيرة ابن هشام، ٨/٣، ٥٧/٣، والبداية والنهاية، ٥١/٤.
- [٧] أي: لا تكثر عليه به وتتردد به عليه، أو لا تعذبه به. انظر: القاموس المحيط، باب التاء، فصل الغين، ص ٠٠٢، والمعجم الوسيط، مادة (غت)، ٦٤٤/٢.
- [٨] انظر: سيرة ابن هشام، ٢١٨/٢، ٢١٩.
- [٩] انظر: سيرة ابن هشام، ١٩٢/٣، والبداية والنهاية، ٧٥/٤، وزاد المعاد، ١٢٧/٣.
- [١٠] انظر قصة الإفك في البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب حديث الإفك، ٤٣١/٧، (رقم ٤١٤١)، وكتاب التفسير، سورة النور، باب ﴿وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ ٤٥٢/٨، (رقم ٤٧٥٠)، ومسلم، كتاب التوبة، باب حديث الإفك، ٢١٢٩/٤، وزاد المعاد، ٢٦٨٨-٢٥٦/٣.
- [١١] سورة المنافقون، الآية: ٨.
- وانظر: البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب



﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾،
٦٤٨/٨، ٦٥٢، (رقم ٤٩٠٥)، وفي كتاب المناقب، باب ما ينهى عنه من دعوى الجاهلية، ٥٤٦/٦، (رقم
٨١٥٣)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً، ١٩٩٨/٤، (رقم ٦٣/٢٥٨٤)، وانظر:
سيرة ابن هشام، ٣٣٤/٣.

([١٢]) سورة المنافقون، الآية: ٧.

والحديث في البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا
يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ﴾، ٦٤٨/٨، (رقم ٤٩٠٤)، ومسلم، كتاب صفات المنافقين وأحكامهم، ٢١٤٠/٤، (رقم
٢٧٧٢).

([١٣]) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة المنافقون، باب ﴿سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ
تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾، ٦٤٨/٨، ٦٥٢/٨، ٥٤٦/٦، (رقم ٤٩٠٥)، ومسلم، كتاب البر والصلة، باب انصر أخاك ظالماً أو
مظلوماً، ١٩٩٨/٤، (رقم ٦٣/٢٥٨٤).

([١٤]) ذكره ابن كثير في البداية والنهاية، ١٨٥/٤، وانظر: شرح النووي على مسلم، ١٣٩/١٦، وهذا الحبيب
يا محب، ص ٣٣٦.





موقفه الحكيم في الكرم والجود

عن أنس قال: ما سُئل رسول الله على الإسلام شيئاً إلا أعطاه قال: فجاءه رجل فأعطاه غنماً بين جبلين فرجع إلى قومه فقال: يا قوم، أسلموا؛ فإن محمداً يعطي عطاءً لا يخشى الفاقة ([١]).

وهذا الموقف الحكيم العظيم يدل على عظم سخاء النبي ﷺ، وغازة جوده ([٢]).

وكان يعطي العطاء ابتغاء مرضاة الله وترغيباً للناس في الإسلام، وتأليفاً لقلوبهم، وقد يُظهر الرجل إسلامه أولاً للدنيا ثم - بفضل الله تعالى ثم بفضل النبي ونور الإسلام - لا يلبث إلا قليلاً حتى ينشرح صدره للإسلام بحقيقة الإيمان، ويتمكن من قلبه، فيكون حينئذ أحب إليه من الدنيا وما فيها ([٣]).

ولهذا شواهد كثيرة، منها: ما رواه مسلم في صحيحه أن النبي غزا غزوة الفتح - فتح مكة - ثم خرج ﷺ بمن معه من المسلمين فاقتتلوا بحنين، فنصر الله دينه والمسلمين، وأعطى رسول الله صفوان بن أمية مائة من الغنم، ثم مائة، ثم مائة. قال صفوان: والله لقد أعطاني رسول الله ما أعطاني وإنه لأبغض الناس إليّ، فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إليّ ([٤]).

وقال أنس : ((إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا الدنيا، فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها))([5]).

وإذا رأى الرجل ضعيف الإيمان، فقد كان يجزل له في العطاء، قال : ((إني لأعطي الرجل وغيره أحب إليّ منه خشية أن يُكَبَّ في النار على وجهه))([6]).

ولذلك كان ﷺ ((يعطي رجلاً من قريش مائة من الإبل))([7]).

ومن مواقفه الحكيمة العظيمة في ذلك ما فعله مع المرأة المشركة صاحبة المزداتين، فإنه بعد أن أسقى أصحابه من مزادتيها، ورجعت المزداتان أشد ملاءةً منها حين ابتداء فيها قال لأصحابه: ((اجمعوا لها))، فجمعوا لها من بين عجوة ودقيقة وسويقة - حتى جمعوا لها طعاماً كثيراً وجعلوه في ثوب، وحملوها على بعيرها، ووضعوا الثوب بين يديها، فقال لها: ((اذهبي فأطعمي هذا عيالك، تعلمين والله ما رزأناك([8]) من مائك شيئاً، ولكن الله هو الذي أسقانا)).

وفي القصة أنها رجعت إلى قومها فقالت: لقيت أسحر الناس، أو هو نبي كما زعموا، فهدى الله ذلك الصرم([9]) بتلك المرأة، فأسلمت وأسلموا([10]).

وفي رواية: فكان المسلمون بعد ذلك يغيرون على من حولها من المشركين ولا يصيبون الصرم الذي هي منه، فقالت يوماً لقومها: ما أرى أن هؤلاء القوم يدعونكم عمداً، فهل لكم في الإسلام؟ فأطاعوها، فدخلوا في الإسلام([11]).

وقد كان سبب إسلام هذه المرأة أمران:

الأمر الأول: ما رآته من أخذ النبي وأصحابه من مزادتيها ولم ينقص ذلك من مائها شيئاً، وهذا من معجزات النبي التي تدل على صدق رسالته.

الأمر الثاني: كرم النبي حين أمر أصحابه أن يجمعوا لها، فجمعوا لها طعاماً كثيراً.

أما قومها، فقد أسلموا على يديها، لأن المسلمين صاروا يراعون قومها بإقرار

النبي على سبيل الاستتلاف لهم، حتى كان ذلك سبباً لإسلامهم([12]).

وهذه الأمثلة التي سقتها ما هي إلا قطرة من بحر كرم النبي ، فما

أحوجنا، وما أولى جميع الدعوة إلى الله إلى الاقتداء بالنبي والاقتراب

من نوره وهديه في دعوته وفي أموره كلها، والله المستعان.



([١]) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه، ١٨٠٦/٤، (رقم ٢٣١٢).

([٢]) انظر أمثلة كثيرة من كرمه وجوده في البخاري مع الفتح، كتاب بدء الوحي، باب حدثنا عبدان ٣٠/١ (رقم ٦)، وكتاب الأدب، باب حسن الخلق وما يكره من البخل، ٤٥٥/١٠ (رقم ٦٠٣٣)، وكتاب الرقاق، باب قول النبي ﷺ: لو أن مثل أحد ذهباً، ٢٦٤/١١، (رقم ٦٤٤٥)، ٣٠٣/١١، (رقم ٦٤٧٠)، وكتاب الكفالة، باب من تكفل عن ميت ديناً فليس له أن يرجع، ٤٧٤/٤، وكتاب التمني باب تمني الخير وقول النبي ﷺ: لو أن لي أحد ذهباً، ١٧/٣، (رقم ٢٢٩٦)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل رسول الله شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه، ١٨٠٥/٤، ١٨٠٦، (رقم ٢٣١١، ٢٣١٢)، وكتاب الزكاة، باب من سأل بفحش وغلظة، ٧٣٠/٢، (رقم ١٠٥٧)، وباب تغليظ عقوبة من لا يؤدي الزكاة، ٦٨٧٧/٢، (رقم ٩٩١).

([٣]) انظر: شرح النووي على مسلم، ٧٢/١٥.

([٤]) مسلم، كتاب الفضائل، باب ما سئل شيئاً قط فقال: لا، وكثرة عطائه، ١٨٠٦/٤، (رقم ٢٣١٣).

([٥]) المرجع السابق، في الكتاب والباب المشار إليهما آنفاً، ١٨٠٦/٤، (رقم ٥٨/٢٣١٢).

([٦]) البخاري مع الفتح، كتاب الزكاة، باب قوله تعالى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْفَافًا﴾، ٣٤٠/٣، (رقم ١٤٧٨)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب إعطاء من يخاف على إيمانه، ٣٣٧/٣، (رقم ٩٥٠١).

([٧]) البخاري مع الفتح، كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي يعطي المؤلفة قلوبهم، ٢٤٩/٦، (رقم ٣١٤٧).

([٨]) أي: لم ننقص من مائك شيئاً. انظر: فتح الباري، ٤٥٣/١.

([٩]) الصرم: أبيات مجتمعة من الناس. انظر: فتح الباري، ٣٥٤/١.

([١٠]) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب علامات النبوة، ٥٨٠/٦، (رقم ٣٥٧١).

ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب قضاء الصلاة الفائتة واستحباب تعجيل قضائها، ٤٧٦/١، (رقم ٦٨٢).

([١١]) البخاري مع الفتح، كتاب التيمم، باب الصعيد الطيب وضوء

المسلم يكفيه من الماء، ٤٤٨/١، (رقم ٣٤٤).

([١٢]) انظر: فتح الباري، ٤٥٣/١.



موقفه مع من شفع في ترك إقامة الحد

قد كان النبي أعدل البشر في جميع أموره وأحكامه، ومما يضرب به المثل في عدله إلى يوم القيامة قصة المخزومية التي سرقت فقطع يدها بعد أن شفع فيها أسامة، ولكن الرسول لم يحاب في ذلك ولم يقبل الشفاعة في حد من حدود الله تعالى.

فعن عائشة ' أن قريشاً أهمهم شأن المرأة المخزومية التي سرقت في عهد النبي في غزوة الفتح، فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ؟ فقالوا: ومن يجترئ عليه إلا أسامة بن زيد، حب رسول الله فأتي بها رسول الله فكلمه فيها أسامة بن زيد، فتلون وجه رسول الله فقال: ((أتشفع في حد من حدود الله؟)) فقال له أسامة: استغفر لي يا رسول الله! فلما كان العشي قام رسول الله فاخطب فأثنى على الله بما هو أهله، فقال: ((أما بعد، أيها الناس: إنما أهلك الذين من قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد، وإني والذي نفسي بيده لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها)). ثم أمر بتلك المرأة التي سرقت فقطعت يدها.

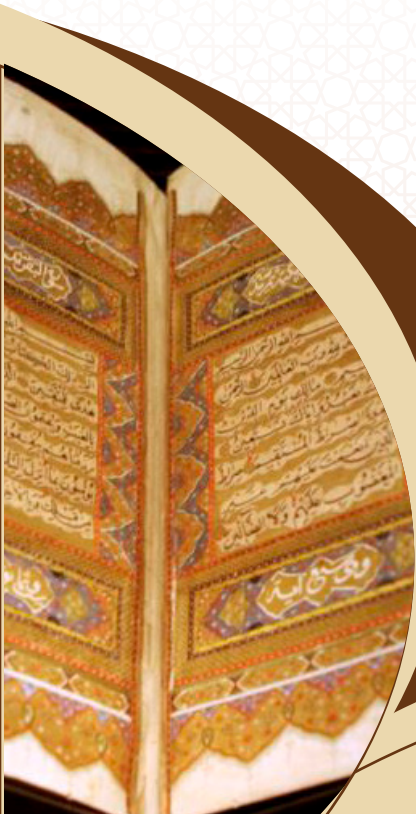
قالت عائشة: فحسنت توبتها بعد، وتزوجت، وكانت تأتيني فأرفع حاجتها إلى رسول الله ([١]).
 إن العدل خلاف الجور، وقد أمر الله به في القول والحكم، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا
 قُرْبَىٰ﴾ ([٢]). وقال: ﴿وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ﴾ ([٣]).
 ولاشك أن هذا الموقف الحكيم وغيره من مواقفه مما يوجب على الدعاة تطبيقها أسوة به ([٤]).

([١]) البخاري مع الفتح بنحوه مختصراً في كتاب الحدود، باب إقامة الحد على الشريف والوضيع، ٨٦/١٢،
 (رقم ٦٧٨٧)، وباب كراهية الشفاعة في الحد إذا رفع إلى السلطان، ٨٧/١٢، ٥١٣/٦، ١٩٢/٥، (رقم ٦٧٨٨)،
 ورواه مسلم بلفظه في كتاب الحدود، باب قطع السارق الشريف وغيره، والنهي عن الشفاعة في الحدود،
 ١٣١٥/٣، (رقم ١٦٨٨)، وانظر: شرح النووي، ١٨٦/١١، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٩٥/١٢، ٩٦.

([٢]) سورة الأنعام، الآية: ١٥٢.

([٣]) سورة النساء، الآية: ٥٨.

([٤]) انظر مواقف حكيمة في هذا الشأن في: سنن أبي داود، ٢٤٢/٢، والترمذي، ١٣٧/٣، والنسائي، ٦٤/٧،
 وانظر أيضاً البخاري مع الفتح، ٢٩٢/٣، ١٤٣/٢، ٣١٢/١١، ١١٢/١٢، ومسلم، ٤٥٨/٣، وهذا الحبيب يا محب،
 ص ٥٣٤، ٥٣٥.





موقفه مع الشاب الذي استأذنه في الزنا

عن أبي أمامة قال: إن فتىً شاباً أتى النبي فقال: يا رسول الله، ائذن لي بالزنا، فأقبل القوم عليه فزجروه، وقالوا له: مه مه! فقال له: ((ادنه))، فدنا منه قريباً، قال: ((أتحبه لأمك؟)) قال: لا والله، جعلني الله فداءك، قال: ((ولا الناس يحبونه لأمهاتهم)). قال: ((أفتحبه لابنتك؟)) قال: لا والله يا رسول الله، جعلني الله فداءك. قال: ((ولا الناس يحبونه لبناتهم)). قال: ((أفتحبه لأختك؟)) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ((ولا الناس يحبونه لأخواتهم)). قال: ((أفتحبه لعمتك؟)) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ((ولا الناس يحبونه لعماتهم)). قال: ((أفتحبه لخالتك؟)) قال: لا والله جعلني الله فداءك. قال: ((ولا الناس يحبونه لخالاتهم)). قال: فوضع يده عليه، وقال: ((اللهم اغفر ذنبه، وطهر قلبه، وحصن فرجه))، فلم يكن بعد ذلك الفتى يلتفت إلى شيء [١].

وهذا الموقف العظيم مما يؤكد على الدعوة إلى الله أن يعتنوا بالرفق والإحسان إلى الناس، ولاسيما من يُرغَبُ في استئلافهم ليدخلوا في الإسلام، أو ليزيد إيمانهم ويثبتوا على إسلامهم.

وكما بين لنا الرسول الرفق بفعله بينه لنا بقوله، وأمرنا بالرفق في الأمر كله.
وكما بين لنا الرسول الرفق بفعله بينه لنا بقوله، وأمرنا بالرفق في الأمر كله. فعن عائشة ' قالت: دخل رهط من اليهود على رسول الله فقالوا: السام عليكم. قالت عائشة: ففهمتها فقلت: وعليكم السام واللعنة. قالت: فقال رسول الله : ((مهلاً يا عائشة إن الله يحب الرفق في الأمر كله))، فقلت: يا رسول الله أوم تسمع ما قالوا؟ قال رسول الله : ((قد قلت: وعليكم))([٢]).

وقال : ((يا عائشة إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على الرفق ما لا يُعطي على العُنف، وما لا يُعطي على ما سواه))([٣]).

وقال : ((إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا يُنزع من شيء إلا شانه))([٤]).

وبين أن من حُرِم الرفق فقد حرم الخير، قال : ((من يحرم الرفق يحرم الخير))([٥]).

وعن أبي الدرداء عن النبي قال: ((من أُعطيَ حظه من الرفق فقد أُعطيَ حظه من الخير، ومن حُرِمَ حظه من الرفق فقد حرم حظه من الخير))([٦])، وعنه رضى الله عنه يبلغ به قال: ((من أُعطيَ حظه من الرفق أُعطيَ حظه من الخير، وليس شيء أثقل في الميزان من الخُلُق الحسن))([٧]). وعن عائشة ' أن النبي قال لها: ((إنه من أُعطيَ حظه من الرفق فقد أُعطيَ حظه من خير الدنيا والآخرة، وصلة الرحم، وحسن الخلق، وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار))([٨]).

فقد عظم النبي شأن الرفق في الأمور كلها، وبين ذلك بفعله وقوله بياناً شافياً كافياً؛ لكي تعمل أمتُه بالرفق في أمورها كلها، وخاصة الدعوة إلى الله فإنهم أولى الناس بالرفق في دعوتهم، وفي جميع تصرفاتهم، وأحوالهم. وهذه الأحاديث السابقة تبين فضل الرفق، والحث على التخلق به، وبغيره من الأخلاق الحسنة، وذم العنف وذم من تخلق به.

فالرفق سبب لكل خير؛ لأنه يحصل به من الأغراض ويسهل من المطالب، ومن الثواب ما لا يحصل بغيره، ومالا يأتي من ضده([٩]).

وقد حذر النبي من العنف، وعن التشديد على أمته ، فعن عائشة ' قالت:

سمعت رسول الله يقول في بيتي هذا: ((اللهم من ولي من أمر أمتي شيئاً فشق عليهم، فاشقق عليه، ومن ولي من أمر أمتي شيئاً فرفق بهم فارفق به))([١٠])، وكان إذا أرسل أحداً من أصحابه في بعض أموره أمرهم بالتيسير ونهاهم عن التنفير.



فعن أبي موسى قال: كان رسول الله إذا بعث أحداً من أصحابه في بعض أموره قال: ((بَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا، وَيَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا))([١١]).

وقال لأبي موسى الأشعري ومعاذ حينما بعثهما إلى اليمن: ((يَسِّرَا وَلَا تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلَا تُنْفَرَا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا))([١٢]).

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: قال رسول الله : ((يَسِّرُوا وَلَا تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تُنْفَرُوا))([١٣]). في هذه الأحاديث الأمر بالتيسير والنهي عن التنفير، وقد جمع النبي في هذه الألفاظ بين الشيء وضده؛ لأن الإنسان قد يفعل التيسير في وقت والتعسير في وقت، ويبشر في وقت وينفر في وقت آخر، فلو اقتصر على يسروا لصدق ذلك على من يسر مرة أو مرات، وعسر في معظم الحالات؛ فإذا قال ولا تعسروا انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه وهذا هو المطلوب. وكذا يقال في يسر ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا ولا تختلفا؛ لأنهما قد يتطاوعان في وقت ويختلفان في وقت وقد يتطاوعان في شيء ويختلفان في شيء، والنبي قد حث في هذه الأحاديث وفي غيرها على التبشير بفضل الله وعظيم ثوابه، وجزيل عطائه، وسعة رحمته، ونهى عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير، وهذا فيه تأليف لمن قرب إسلامه وترك التشديد عليه، وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان، ومن بلغ، ومن تاب من المعاصي كلهم ينبغي أن يتدرج معهم ويَتَلَطَّفَ بهم في أنواع الطاعات قليلاً قليلاً، وقد كانت أمور الإسلام في التكليف على التدرج فمتى يُسَّرَ على الداخل في الطاعة، أو المرید للدخول فيها سهلت عليه وكانت عاقبته غالباً بالازدياد منها، ومتى عُسِّرَ عليه أَوْشَكَ أن لا يدخل فيها، وإن دخل أوشك أن لا يدوم ولا يستحليها([١٤]). وهكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدرج؛ ولهذا كان النبي يتخوّل أصحابه بالموعظة في الأيام كراهة السّامة عليهم([١٥]).

فصلوات الله وسلامه عليه فقد دل أمته على كل خير وحذرهم من كل شر، ودعا على من شق على أمته، ودعا لمن رفق بهم كما تقدم في حديث عائشة وهذا من أبلغ الزواجر عن المشقة على الناس، وأعظم الحث على الرفق بهم([١٦]).

([١]) أخرجه أحمد في المسند من حديث أبي أمامة رضى الله عنه، ٢٥٦/٥، ٢٥٧، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد، وعزاه إلى الطبراني

- وقال: <رجالہ رجال الصحیح >، ۱۲۹/۱، وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني، برقم ۳۷۰، ج ۱.
- [[۲]] البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله، ۴۴۹/۱۰، (رقم ۶۰۲۴).
- [[۳]] أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، عن عائشة، ۲۰۰۴/۴، (رقم ۲۵۹۳).
- [[۴]] المرجع السابق، في الكتاب والباب المشار إليهما سابقاً، ۴۰۰۲/۴، عن عائشة، أيضاً (رقم ۴۴۹۵۲).
- [[۵]] المرجع السابق، في الكتاب والباب المشار إليهما سابقاً عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، ۲۰۰۳/۴، (رقم ۲۵۹۲).
- [[۶]] أخرجه الترمذي في كتاب البر والصلة، باب ما جاء في الرفق، ۳۶۷/۴، (رقم ۲۰۱۳)، وقال حديث حسن صحيح، وانظر: صحيح الترمذي، ۵۹۱/۲.
- [[۷]] أخرجه أحمد في المسند، ۱۵۴/۶، انظر: الأحاديث الصحيحة للألباني، رقم ۸۷۶، فقد ذكر له شواهد كثيرة.
- [[۸]] أخرجه أحمد، ۱۵۹/۶، وإسناده صحيح، انظر الأحاديث الصحيحة للألباني، برقم ۵۱۹.
- [[۹]] انظر: شرح النووي على مسلم، ۱۴۵/۱۶، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، ۴۴۹/۱۰، وتحفة الأحوذى بشرح سنن الترمذي، ۱۵۴/۶.
- [[۱۰]] أخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب فضيلة الإمام العادل، وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم، ۱۴۵۸/۳، (رقم ۱۸۲۸).
- [[۱۱]] أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيشير وترك التنفير، ۱۳۵۸/۳، (رقم ۱۷۳۲).
- [[۱۲]] البخاري مع الفتح في كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع، ۶۲/۸، (رقم ۴۳۴۴، ۴۳۴۵)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير باب الأمر بالتيشير وترك التنفير، ۱۳۵۹/۳، واللفظ له، (رقم ۱۷۳۳).
- [[۱۳]] البخاري مع الفتح في كتاب العلم، باب ما كان النبي يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ۱۶۳/۱، (رقم ۶۹)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيشير وترك التنفير، ۱۳۵۹/۳، (رقم ۱۷۳۲).
- [[۱۴]] انظر: شرح النووي على مسلم، ۴۱/۱۲، بتصرف يسير، وفتح الباري، ۱۶۳/۱.



[١٥] انظر: فتح الباري، ١٦٢/١، ١٦٣.
[١٦] انظر: شرح النووي على مسلم، ٢١٣/١٢.



موقفه مع الطفيل بن عمرو الدوسي

من مواقف الحكمة ما فعله رسول الله مع الطفيل بن عمرو الدوسي رضى الله عنه، فقد أسلم الطفيل قبل الهجرة في مكة، ثم رجع إلى قومه يدعوهم إلى الإسلام، فبدأ بأهل بيته، فأسلم أبوه وزوجته، ثم دعا قومه إلى الله فأبت عليه وعصت، وأبطئوا عليه، فجاء الطفيل إلى رسول الله وذكر له أن دوساً هلكت وكفرت وعصت وأبت.

فحن أبي هريرة قال: جاء الطفيل بن عمرو الدوسي إلى رسول الله فقال: إن دوساً قد عصت وأبت، فادع الله عليهم، فاستقبل رسول الله القبلة ورفع يديه، فقال الناس: هلكوا. فقال: ((اللهم اهد دوساً وائت بهم، اللهم اهد دوساً وائت بهم))([١]).

وهذا يدل على حلم النبي وصبره وتأنيه في الدعوة إلى الله؛ فإنه لم يعجل بالعقوبة، أو الدعاء على من رد الدعوة؛ ولكنه دعا لهم بالهداية، فاستجاب الله دعاءه، وحصل على ثمرة الصبر والتأني وعدم العجلة، فقد رجع الطفيل إلى قومه، ورفق بهم، فأسلم على يديه خلق كثير، ثم قدم على النبي وهو بخير، فدخل



المدينة بثمانين أو تسعين بيتاً من دوس، ثم لحقوا بالنبي بخيبر، فأسهم لهم مع المسلمين ([٢]).
الله أكبر! ما أعظمها من حكمة أسلم بسببها ثمانون أو تسعون أسرة.
وهذا مما يوجب على الدعوة إلى الله العناية بالحلم في دعوتهم، ولا يحصل لهم ذلك إلا بفضل الله ثم معرفة هدي النبي في دعوته.

([١]) البخاري مع الفتح، في كتاب الجهاد، باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم، ١٠٧/٦ (رقم ٢٩٣٧)،
وفي كتاب المغازي، باب قصة دوس والطفيل بن عمرو الدوسي، ١٠١/٨، (رقم ٤٣٩٢)، وفي كتاب الدعوات،
باب الدعاء على المشركين ١٩٦/١١ (رقم ٦٣٩٧)، ومسلم، في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل غفار وأسلم
وجهينة وأشجع وقيم ودوس وطيب، ١٩٥٧/٤٠، (رقم ٤٢٥٢)، وأخرجه أحمد واللفظ له، ٢٤٣/٢، ٤٤٨،
وانظر: البداية والنهاية، ٣٣٧/٦، ٩٩/٣، وسيرة ابن هشام، ٤٠٧/١.
([٢]) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ٣٤٦/١، وزاد المعاد، ٦٢٦/٣، والإصابة في تمييز الصحابة، ٢٢٥/٢.





موقفه مع معاوية بن الحكم

عن معاوية بن الحكم السلمي قال: بينما أنا أصلي مع رسول الله إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله! فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إليّ؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فلما رأيتهم يصمتونني، لكنني سكت، فلما صلى رسول الله فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني ([١]) ولا ضربني ولا شتمني، قال: ((إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن))، أو كما قال رسول الله .

قلت: يا رسول الله! إني حديث عهد بجاهلية، وقد جاء الله بالإسلام، وإن منا رجالاً يأتون الكهان، قال: ((فلا تأتهم)).

قال: ومنا رجال يتطيرون، قال: ((ذاك شيء يجدونه في صدورهم فلا يصد عنهم)) ([٢])، قال ابن الصلاح: فلا يصد عنهم)، قال: قلت: ومنا رجال يخطون. قال: ((كان نبي من الأنبياء يخط، فما وافق خطه فذاك)) ([٣]).

قال: وكانت لي جارية ترعى غنماً لي قبيل أحد والجوانية ([٤]) فاطلعت ذات يوم فإذا الذئب قد ذهب



بشاة من غنمها، وأنا رجل من بني آدم، آسف كما يأسفون، لكنني صككتها صكة، فأتيت رسول الله فعظم ذلك عليّ، قلت: يا رسول الله! أفلا أعتقها، قال: ((ائتني بها))، فأتيتها بها، فقال لها: ((أين الله؟)) قالت: في السماء، قال: ((من أنا؟)) قالت: أنت رسول الله. قال: ((أعتقها فإنها مؤمنة))([5]). وهذا الموقف من أعظم الحكم البارزة السامية التي أوتيها النبي ، وقد ظهر أثر ذلك في حياة ونفس معاوية رضي الله عنه؛ لأن النفوس مجبولة على حب من أحسن إليها، ولهذا قال معاوية: ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه.

- [١] ما كهرني: أي ما قهرني ولا نهزني. انظر: شرح النووي، ٢٠/٥.
- [٢] قال العلماء: معناه أن الطيرة شيء تجدونه في نفوسكم ضرورة، ولا عتب عليكم في ذلك، ولكن لا تمتنعوا بسببه عن التصرف في أموركم. انظر: المرجع السابق، ٢٢/٥.
- [٣] اختلف العلماء في معناه، والصحيح أن معناه: من وافق خطه فهو مباح له؛ ولكن لا طريق لنا إلى العلم اليقيني بالموافقة فلا يُباح، والمقصود أنه حرام؛ لأنه لا يُباح إلا بيقين الموافقة، وليس لنا يقين بها، وقيل: إنه نُسخ في شرعنا. فحصل من مجموع كلام العلماء فيه الاتفاق على النهي عنه الآن فهو محرم. انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ٢٣/٥.
- [٤] الجوانية: موضع في شمال المدينة بقرب جبل أحد. انظر: المرجع السابق ٢٣/٥.
- [٥] أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب تحريم الكلام في الصلاة ونسخ ما كان من إباحته، ٣٨١/١، (رقم ٥٣٧)، وانظر شرحه في شرح مسلم للنووي، ٢٠/٥.





موقفه مع الأعرابي الذي بال في المسجد

عن أنس بن مالك قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله: مه مه [١]، قال: قال رسول الله: ((لا تزرموه [٢])، دعوه))، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله دعاه فقال له: ((إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القذر، إنما هي لذكر الله، والصلاة وقراءة القرآن))، أو كما قال رسول الله .

قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشئت [٣] عليه [٤].

وقد ثبت في البخاري وغيره أن هذا الرجل هو الذي قال: >اللهم ارحمني ومحمداً ولا ترحم معنا أحداً<، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قام رسول الله وقمنا معه، فقال أعرابي وهو في الصلاة: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً، فلما سلم النبي قال للأعرابي: ((لقد حجرت واسعاً)) يريد رحمة الله [٥]. وتفسر هذه الرواية الروايات الأخرى عند غير البخاري، فعن أبي هريرة قال: دخل رجل أعرابي المسجد فصلى ركعتين ثم قال: اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً! فالتفت إليه رسول الله فقال: ((لقد تحجرت واسعاً))، ثم لم يلبث أن بال في المسجد، فأسرع الناس إليه فقال لهم رسول الله: ((إنما بعثتم

ميسرين، ولم تبعثوا معسرين، أهريقوا عليه دلواً من ماء، أو سجلاً من ماء))([٦]).

قال: يقول الأعرابي بعد أن فقهه، فقام النبي إليّ بأبي وأمي فلم يسب، ولم يؤنب، ولم يضرب([٧]).

النبي أحكم خلق الله، فمواقفه وتصرفاته كلها مواقف حكمة مشرفة، ومن وقف على أخلاقه ورفقه وعفوه وحلمه، ازداد يقينه وإيمانه بذلك.

وهذا الأعرابي قد عمل أعمالاً تثير الغضب، وتسبب عقوبته وتأديبه من الحاضرين؛ ولذلك قام الصحابة إليه، واستنكروا أمره، وزجروه، فنهاهم النبي أن يقطعوا عليه بوله.

وهذا في غاية الرفق والحلم والرحمة، ويجمع ذلك كله الحكمة، فقد أنكر النبي بالحكمة على هذا الأعرابي عمله، فقال له حينما قال: «اللهم ارحمني ومحمداً، ولا ترحم معنا أحداً»: ((لقد تحجرت واسعاً))، يريد رحمة الله، فإن رحمة الله قد وسعت كل شيء، قال: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ ([٨])، فقد بخل هذا الأعرابي برحمة الله على خلقه.

وقد أثنى الله على من فعل خلاف ذلك حيث قال: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ﴾ ([٩]).

وهذا الأعرابي قد دعا بخلاف ذلك، فأنكر عليه النبي بالحكمة([١٠]).

وحينما بال في المسجد أمر النبي بتركه؛ لأنه قد شرع في المفسدة، فلو منع ذلك لزادت المفسدة، وقد حصل تلويث جزء من المسجد، فلو منعه بعد ذلك لدار بين أمرين:

- ١- إما أن يقطع عليه بوله فيتضرر الأعرابي بحبس البول بعد خروجه.
- ٢- وإما أن يقطعها فلا يأمن من تنجيس بدنه، أو ثوبه، أو مواضع أخرى من المسجد.

فأمر النبي بالكف عنه للمصلحة الراجحة، وهي دفع المفسدتين أو الضررين باحتمال أيسرهما، وتحصيل أعظم المصلحتين بترك أيسرهما([١١]).

وهذا من أعظم الحكم العالية، فقد راعى النبي هذه المصالح، وما يقابلها من المفسد، ورسم لأمتة والدعاة من بعده كيفية الرفق بالجاهل، وتعليمه ما يلزمه من غير تعنيف، ولا سب ولا إيذاء ولا تشديد، إذا لم يكن ذلك منه عناداً ولا استخفافاً، وقد كان لهذا الاستتلاف والرحمة والرفق الأثر الكبير في حياة هذا الأعرابي وغيره، فقد قال بعد أن فقهه - كما تقدم - وفي رواية الإمام أحمد: فقام النبي إليّ بأبي وأمي، فلم يسب، ولم يؤنب، ولم يضرب([١٢]).

فقد أثر هذا الخلق العظيم في حياة الرجل (٣١).

(١) مه: كلمة زجر، وهو اسم مبني على السكون، معناه: اسكت. وقيل: أصلها: ما هذا؟ انظر: شرح النووي، ١٩٣/٣.

(٢) لا ترموه: أي لا تقطعوا عليه بوله. والإزرام: القطع. انظر: المرجع السابق، ١٩٠/٣.

(٣) شنه: أي صبه عليه. انظر: المرجع السابق، ١٩٣/٣.

(٤) أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الطهارة، باب وجوب غسل البول وغيره من النجاسات إذا حصلت في المسجد وأن الأرض تطهر بالماء من غير حاجة إلى حفرها، ٢٣٦/١، (رقم ٢٨٥)، والبخاري مع الفتح، بمعناه مختصراً في كتاب الوضوء، باب ترك النبي ﷺ والناس الأعرابي حتى فرغ من بوله في المسجد، ٣٢٢/١، (رقم ٢١٩)، وروايات بول الأعرابي في البخاري في عدة مواضع، ٢٢٣٣/١، ٤٤٩/١، ٥٢٥/١٠.

(٥) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم، ٤٣٨/١٠، (رقم ٦٠١٠).

(٦) أخرجه الترمذي بنحوه في كتاب الطهارة، باب ما جاء في البول يصيب الأرض، ٢٧٥/١، (رقم ١٤٧)، وأخرجه أحمد في المسند بترتيب أحمد شاكر واللفظ لأحمد، ٢٤٤/١٢، برقم ٧٢٥٤، وأخرجه أحمد أيضاً مطولاً، ١٣٤/٢٠، برقم ١٠٥٤٠، وأبو داود مع العون، ٣٩/٢.

(٧) أخرجه أحمد في المسند بترتيب أحمد شاكر وهو تكملة للحديث السابق من رواية أبي هريرة رضي الله عنه، ١٣٤/٢٠، برقم ١٠٥٤٠، وابن ماجه، ١٧٥/١.

(٨) سورة الأعراف، الآية: ١٥٦.

(٩) سورة الحشر، الآية: ١٠.

(١٠) انظر: فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٤٣٩/١٠.

(١١) انظر: فتح الباري، شرح صحيح البخاري، ٣٢٥/١، وشرح النووي على مسلم، ١٩١/٣.

(١٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الطهارة، باب الأرض يصيبها البول كيف

تغسل، ١٧٥/١، (رقم ٥٢٩)، وتقدم تخريجه عند أحمد.

(١٣) انظر: فتح الباري، ٣٢٥/١، وشرح النووي، ١٩١/٣، وعون

المعبود شرح سنن أبي داود،

٣٩/٢، وتحفة الأحمدي، شرح سنن الترمذي، ٤٥٧٧/١.



موقفه مع اليهودي زيد بن سحنة، أحد أئمة اليهود

كان النبي يعفو عند القدرة، ويحلم عند الغضب، ويحسن إلى المسيء، وقد كانت هذه الأخلاق العالية من أعظم الأسباب في إجابة دعوته والإيمان به، واجتماع القلوب عليه، ومن ذلك ما فعله مع زيد بن سحنة، أحد أئمة اليهود وعلمائهم الكبار (١).

جاء زيد بن سحنة إلى رسول الله يطلبه ديناً له، فأخذ بمجامع قميصه وردائه وجذبه، وأغلظ له القول، ونظر إلى النبي بوجه غليظ وقال: يا محمد، ألا تقضيني حقي، إنكم يا بني عبد المطلب قوم مُطَلُّ، وشدّد له في القول، فنظر إليه عمر وعنياه تدوران في رأسه كالفلك المستدير، ثم قال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله ما أسمع، وتفعل ما أرى، فوالذي بعثه بالحق لولا ما أحاذر لومه لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله ينظر إلى عمر في سكون وتؤدّة وتبسم، ثم قال: ((أنا وهو يا عمر كنا أحوج إلى غير هذا منك يا عمر، أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن التقاضي، اذهب به يا عمر فاقضه حقه، وزده عشرين صاعاً من تمر))،

فكان هذا سبباً لإسلامه، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.
 وكان زيد قبل هذه القصة يقول: <لم يبق شيء من علامات النبوة إلا وقد عرفتها في وجه محمد إلا اثنتين
 لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا يزيده شدة الجهل عليه إلا حليماً> ([٢]).
 فاختره بهذه الحادثة فوجده كما وُصِفَ، فأسلم وآمن وصدق، وشهد مع النبي مشاهده، واستشهد في
 غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر ([٣]).
 فقد أقام محمد براهين عديدة من أخلاقه على صدقه، وأن ما يدعو إليه حق.

- ([١]) انظر: هذا الحبيب يا محب، ص ٥٢٨، وهداية المرشدين، ص ٣٨٤.
- ([٢]) ذكر ابن حجر في كتاب الإصابة في تمييز الصحابة هذه القصة وعزاها إلى الطبراني، والحاكم، وأبي
 الشيخ في كتابه أخلاق النبي ﷺ، وابن سعد، وغيرهم، ثم قال ابن حجر: <ورجال إسناده موثقون...
 ومحمد بن أبي السري وثقه ابن معين... والوليد قد صرح بالتحديث>، ص ٥٦٦/١.
- وذكره ابن كثير في البداية والنهاية، وعزاه إلى أبي نعيم في الدلائل. البداية والنهاية، ٣١٠/٢، وقال الهيثمي
 في مجمع الزوائد، ٢٤٠/٨: <رواه الطبراني، رجاله ثقات>.
- ([٣]) الإصابة في تمييز الصحابة، ٥٦٦/١.



موقفه مع الأعرابي الذي أراد قتله

روى البخاري ومسلم، عن جابر بن عبد الله قال: غزونا مع رسول الله قِبَلِ نَجْدٍ ([١])، فأدركنا رسول الله في وادٍ كثير العُضاه، فنزل رسول الله تحت شجرة، فعلق سيفه بغصن من أغصانها، قال: وتفرق الناس في الوادي يستظلون بالشجر، قال: فقال رسول الله: ((إن رجلاً أتاني وأنا نائم، فأخذ السيف فاستيقظت وهو قائم على رأسي، فلم أشعر إلا والسيف صلتاً ([٢]) في يده، فقال لي، من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، ثم قال في الثانية: من يمنعك مني؟ قال: قلت: الله، قال: فشام ([٣]) السيف، فهاهو ذا جالس))، ثم لم يعرض له رسول الله ([٤]).

الله أكبر! ما أعظم هذا الخلق! وما أكبر أثره في النفس! أعرابي يريد قتل النبي ثم يعصمه الله منه، ويمكّنه من القدرة على قتله، ثم يعفو عنه! إن هذا لخلق عظيم وصدق الله العظيم إذ يقول للنبي: ﴿وَأِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ([٥])، وهذا الخلق الحكيم قد أثر في حياة الرجل، وأسلم بعد ذلك، فاهتدى به خلق كثير ([٦]).

([١]) وقع في رواية البخاري التصريح باسمها (ذات الرقاع)، انظر: البخاري مع الفتح، ٤٢٦/٧.

([٢]) والسيف صلتاً: أي مسلولاً. انظر: شرح النووي، ٤٥/١٥.

([٣]) شام السيف: أي رده في غمده. انظر: المرجع السابق، ٤٥/١٥.

([٤]) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من علق سيفه بالشجر في السفر عند القائلة، ٩٦/٦، ٩٧، (رقم ٢٩١٠)، وكتاب المغازي، باب: غزوة ذات الرقاع، ٤٢٦/٧، (رقم ٤١٣٥)، ومسلم، واللفظ له، كتاب الفضائل، باب: توكله على الله - تعالى -، وعصمة الله - تعالى - له من الناس، ٥٧٦/١، (رقم ٨٤٣)، وأحمد، ٣ / ٣١١، ٣٦٤.

وانظر: الأخلاق الإسلامية وأسسها للميداني فقد ذكر رواية مطولة عزائها لأبي بكر الإسماعيلي في صحيحه، ٥٣٣/٢.

([٥]) سورة القلم، الآية: ٤.

([٦]) انظر: فتح الباري، ٤٢٨/٧، وشرح النووي على مسلم، ٤٤/١٥، وذكر ابن حجر والنووي في هذا الموضوع أن اسم الأعرابي: غورث بن الحارث. بل ذكره البخاري في صحيحه، برقم ٤١٣٦.



مواقف الحكمة الفردية

كان النبي أحكم خلق الله، فقد كان يتألف الناس ليدخلوا في الإسلام، ويصبر على أذاهم، ويعفو عن إساءتهم، ويقابلها بالإحسان، وله مواقف في الكرم، والجود، والعفو، والحلم، والرفق، والعدل، تظهر في النقاط الآتية:

١ - موقفه مع ثمامة بن أثال، سيد أهل اليمامة:

روى البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضى الله عنه أنه قال: بعث رسول الله خيلاً قبلاً نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة، يقال له ثمامة بن أثال، سيد أهل اليمامة، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه رسول الله فقال: ((ماذا عندك يا ثمامة؟)) فقال: عندي يا محمد خير، إن تقتل تقتل ذا دم ([١])، وإن تنعم تنعم على شاكرك، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله حتى كان بعد الغد، فقال: ((ما عندك يا ثمامة؟)) فقال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكرك، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه رسول الله حتى كان من الغد، فقال: ((ماذا عندك يا

ثمامة؟)) فقال: عندي ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فقال رسول الله: ((أطلقوا ثمامة))، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد، فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إليّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إليّ، والله ما كان من دين أبغض إليّ من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إليّ، والله ما كان من بلد أبغض إليّ من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إليّ، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره رسول الله، وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أصبوت؟ فقال: [لا والله]، ولكني أسلمت مع رسول الله، ولا والله لا يأتكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ([٢]).

”ثم خرج رضی الله عنه إلى اليمامة فمنعهم أن يحملوا إلى مكة شيئاً، فكتبوا إلى رسول الله: إنك تأمر بصلة الرحم، وإنك قد قطعت أرحامنا، وقد قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع، فكتب رسول الله إلى ثمامة أن يخلي بينهم وبين الحمل ([٣]).“

وذكر ابن حجر أن ابن منده روى بإسناده عن ابن عباس قصة إسلام ثمامة ورجوعه إلى اليمامة، ومنعه عن قريش الميرة، ونزول قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَدَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾ ([٤]). وقد ثبت ثمامة على إسلامه لما ارتد أهل اليمامة، وارتحل هو ومن أطاعه من قومه فلحقوا بالعلاء بن الحضرمي فقاتل معه المرتدين من أهل البحرين ([٥]).

الله أكبر، ما أحكم النبي محمداً. وما أعظمه من موقف، فقد كان يتألف القلوب، ويلطف من يرجى إسلامه من الأشراف الذين يتبعهم على إسلامهم خلق كثير.

وهكذا ينبغي للدعاة إلى الله أن يعظموأمر العفو عن المسيء، لأن ثمامة أقسم أن بغضه انقلب حباً في ساعة واحدة؛ لما أسداه النبي إليه من العفو والمنّ بغير مقابل، وقد ظهر لهذا العفو الأثر الكبير في حياة ثمامة، وفي ثباته على الإسلام ودعوته إليه ([٦]).

([١]) معناه: أن تقتل تقتل صاحب دم يدرك قاتله به ثأره لرئاسته وفضيلته، وقيل: معناه تقتل من عليه دم مطلوب به، وهو مستحق عليه فلا عتب عليك في قتله. انظر: فتح الباري، ٨/٨٨.





([٢]) البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب وفد بني حنيفة وحديث ثمامة بن أثال، ٨٧/٨، (رقم ٤٣٧٢)،
ومسلم - واللفظ له إلا ما بين المعقوفين فمن البخاري - في كتاب الجهاد والسير، باب ربط الأسير وحبسه
وجواز المنّ عليه، ١٣٨٦/٣، (رقم ١٧٦٤).

([٣]) سيرة ابن هشام ٣١٧/٤ بتصرف يسير، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٨٨/٨.

([٤]) سورة المؤمنون، الآية: ٧٦.

وقال ابن حجر عن هذا الأثر: <إسناده حسن>. انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٢٠٣/١.

([٥]) انظر: الإصابة في تمييز الصحابة، ٢٠٣/١.

وهناك أبيات شعرية له رضى الله عنه تدل على تأثره بعفوهِ ﷺ.

([٦]) انظر: شرح النووي على مسلم، ٨٩/١٢، وفتح الباري بشرح صحيح البخاري، ٨٨/٨.

ومن مواقفه التي تزخر بالحكمة والشجاعة

ما رواه البخاري ومسلم، عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قِبَل الصوت، فاستقبلهم النبي قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: ((لم تراعوا، لم تراعوا))، وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: ((لقد وجدته بحرًا))، أو ((إنه لبحر))([١]).

وهذا المثل وغيره من الأمثلة السابقة تدل دلالة واضحة على أن النبي أشجع إنسان على الإطلاق، فلم يكتحل الوجود بمثله، وقد شهد له بذلك الشجعان الأبطال([٢]).

قال البراء: <كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي >([٣]).

وقال أنس في الحديث السابق: <كان النبي أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس...>

وكانت هذه الشواهد السابقة لشجاعته القلبية، أما شجاعته العقلية فسأكتفي بشاهد واحد؛ فإنه يكفي عن ألف شاهد ويزيد، وهو موقفه من تعنت سهيل بن عمرو، وهو يملئ وثيقة صلح الحديبية، إذ تنازل



عن كلمة >بسم الله الرحمن الرحيم إلى بسمك اللهم وعن كلمة محمد رسول الله إلى كلمة: محمد بن عبد الله، وقبوله شرط سهيل على أن لا يأتي النبي رجل من قريش حتى ولو كان مسلماً إلا رده إلى أهل مكة، وقد استشاط الصحابة غيظاً، وبلغ الغضب حدّاً لا مزيد عليه، وهو صابر ثابت حتى انتهت الوثيقة، وكان بعد أيام فتحاً مبيناً.

فضرب بذلك المثل الأعلى في الشجاعتين: القلبية، والعقلية، مع بعد النظر، وأصالة الرأي، وإصابته؛ فإن من الحكمة أن يتنازل الداعية عن أشياء لا تضر بأصل قضيتها لتحقيق أشياء أعظم منها ([٤]).
وجميع ما تقدم من نماذج من شجاعته وثباته، وهذا نقطة من بحر، وإلا فإنه لو كُتِبَ في شجاعته بالاستقصاء لكُتِبَ مجلدات، فيجب على كل مسلم، وخاصة الدعاة إلى الله تعالى أن يتخذوا الرسول قدوةً في كل أحوالهم وتصرفاتهم، وبذلك يحصل الفوز والنجاح، والسعادة في الدنيا والآخرة، ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ ([٥]).

- ([١]) البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، ٤٥٥/١٠، (رقم ٣٣٠٦)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب، ٢٠٨١/٤، (رقم ٢٣٠٧).
- ([٢]) انظر: رواية علي بن أبي طالب في شجاعة النبي ﷺ في مسند أحمد، ٨٦/١، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ١٤٣٣/٢، وتقدم تخريجه.
- ([٣]) أخرجه مسلم، ١٤٠١/٣، (رقم ٧٩/١٧٧٦)، وتقدم تخريجه.
- ([٤]) انظر: وثيقة صلح الحديبية كاملة في البخاري مع الفتح، ٣٢٩/٥، (رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢)، وشرح الوثيقة في الفتح، ٣٣٣/٥-٣٥٢، ومسند أحمد، ٣٢٨/٤-٣٣١، وانظر: هذا الحبيب يا محبّ، ص ٥٣٢.
- ([٥]) سورة الأحزاب، الآية: ١٢.





مواقفه التي تزخر بالحكمة والشجاعة ما فعله في معركة حنين

بعد أن دارت معركة حنين والتقى المسلمون والكفار، ولى المسلمون مدبرين ([١])، فطفق رسول الله يركض بغلته قبّل الكفار... ثم قال: ((أي عباس، ناد أصحاب السمرة)) فقال عباس: - وكان رجلاً صيتاً - فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكان عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك، قال: فاقتلوا والكفار... فنظر رسول الله وهو على بغلته كالمطاول عليها إلى قتالهم، فقال: ((الآن حمي الوطيس)) ([٢]).

وظهرت شجاعة النبي التي لا نظير لها في هذا الموقف الذي عجز عنه عظماء الرجال ([٣]).
وسئل البراء، فقال له رجل: يا أبا عمار، أكنتم وليتم يوم حنين؟ قال: لا والله ما ولى رسول الله، ولكنه خرج شبان أصحابه ([٤]) وأخفاؤهم ([٥]) حسراً ([٦]) ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح، فلقوا قوماً رماة لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن، وبنى نصر، فرشقوهم رشقاً ([٧])، ما يكادون يخطئون، فانكشفوا،

فأقبل القوم إلى رسول الله وأبو سفيان بن الحارث يقود بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول:

أنا النبي لا كذب اللهم نزل نصرك [٨]

قال البراء: كنا والله إذا حمر البأس ([٩]) نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ ([١٠]). وفي رواية لمسلم عن سلمة قال: مررت على رسول الله منهنماً ([١١])، وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله: ((لقد رأى ابن الأكوع فزعاً)). فلما غشوا رسول الله نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: ((شاهت الوجوه)) ([١٢])، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله تعالى، وقسم رسول الله غنائمهم بين المسلمين ([١٣]). وقد قال العلماء: إن ركوب النبي البغلة في موضع الحرب وعند اشتداد البأس هو النهاية في الشجاعة والثبات، ولأنه أيضاً يكون معتمداً يرجع الناس إليه، وتطمئن قلوبهم به وبمكانه، وإنما فعل هذا عمداً، وإلا فقد كانت له أفراس معروفة.

ومما يدل على شجاعته تقدمه وهو يركض بغلته إلى جمع المشركين، وقد فر الناس عنه، ونزوله إلى الأرض حين غشوه مبالغة في الشجاعة والصبر، وقيل: فعل ذلك مواساة لمن كان نازلاً على الأرض من المسلمين، وقد أخبر الصحابة - رضي الله عنهم - بشجاعته في جميع المواطن ([١٤]).

[١] كان مع النبي ﷺ في هذه الغزوة ألفان من أهل مكة، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا

معه من المدينة ففتح بهم. انظر: زاد المعاد، ٤٦٨٨/٣.

[٢] مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب: غزوة حنين، وقد اختصرت ألفاظه،

١٣٩٨/٣، (رقم ١٧٧٥).

[٣] انظر: الرحيق المختوم، ص ٤٠١، وهذا الحبيب يا محب، ص ٤٠٨.

[٤] جمع شباب. شرح النووي لمسلم، ١١٧/٢١.

[٥] جمع خفيف، وهم المسارعون المستعجلون. شرح النووي



لمسلم، ١١٧/١٢.

[[٦]] حسراً: جمع حاسر، أي بغير دروع، وقد فسره بقوله: ليس عليهم سلاح. شرح النووي لمسلم، ١١٧/١٢.

[[٧]] رشقا: هو بفتح الراء، وهو مصدر، وأما الرشق بالكسر فهو اسم للسهم التي ترميها الجماعة دفعة واحدة. انظر: شرح النووي، ١١٨/١٢.

[[٨]] مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، مع التصرف في بعض الكلمات، ١٤٠٠/٣، (رقم ١٧٧٦)، والبخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته فاستنصر، ١٠٥ /٦، ٢٧/٨، ٢٨، (رقم ٢٩٣٠).

[[٩]] إذا احمر البأس: كناية عن شدة الحرب، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة. انظر: شرح النووي، ١٢١/٢١.

[[١٠]] رواه مسلم في كتابا الجهاد والسير، باب غزوة حنين، ١٤٠١/٣، (رقم ١٧٧٦/٧٩).

[[١١]] قال العلماء: قوله: ((منهزماً)) حال من ابن الأكوع، وليس النبي ﷺ. انظر: شرح النووي ١٢٢/١٢.

[[١٢]] شأهت الوجوه، أي: قبحت. انظر: شرح النووي، ١٢٢/١٢.

[[١٣]] أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، ١٤٠٢/٣، (رقم ١٧٧٧).

[[١٤]] انظر: شرح النووي على مسلم، ١١٤/٢١.





مواقفه الحكيمه في غزوة أحد

من مواقفه في الشجاعة أيضاً، وصبره على أذى قومه ما فعله في غزوة أحد، فقد كان يقاتل قتالاً عظيماً؛ فإن الدولة كانت أول النهار للمسلمين على المشركين، فانهزم أعداء الله وولوا مدبرين حتى انتهوا إلى نساءهم، فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله بحفظه، وذلك أنهم ظنوا أنه ليس للمشركين رجعة، فذهبوا في طلب الغنيمه، وتركوا الجبل فكّر فرسان المشركين فوجدوا الثغر خالياً قد خلا من الرماة فجازوا منه، وتمكنوا حتى أقبل آخرهم فأحاطوا بالمسلمين، فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة، وهم سبعون، وتولى الصحابة، وخلص المشركون إلى رسول الله فجرحوا وجهه، وكسروا رباعيته اليمنى، وكانت السفلى، وهشموا البيضة على رأسه، وقاتل الصحابة دفاعاً عن رسول الله ([١]).

وكان حول النبي رجلان من قريش، وسبعة من الأنصار، فقال لما رهقوه، وقربوا منه: ((من يردهم عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة))، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهقوه أيضاً فقال: ((من يردهم عنا وله الجنة))، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله لصاحبيه: ((ما أنصفنا أصحابنا)) ([٢]).

وعندما اجتمع المسلمون، ونهضوا مع النبي إلى الشعب الذي نزل فيه، وفيهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والحارث بن الصمة الأنصاري وغيرهم، فلما استندوا إلى الجبل أدرك رسول الله أُبَيُّ بن خلف، وهو على جواد له، ويقول: أين محمد، لا نجوت إن نجا؟ فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منا، فأمرهم رسول الله بتركه، فلما دنا منه تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة، فلما أخذها منه انتفض انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله وأبصر ترقوته من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها طعنة تدرج منها عن فرسه مراراً، فلما رجع عدو الله إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير... قال: قتلني والله محمد، فقالوا له: ذهب والله فؤادك والله إن بك من بأس، قال: إنه قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليّ لقتلني، فمات عدو الله بسرف، وهم قافلون إلى مكة ([٣]).

وعن سهل بن سعد رضی الله عنه أنه سُئِلَ عن جرح النبي ﷺ يوم أحد فقال: جُرِحَ وجه النبي ﷺ وكُسِرَت ربايعيته، وهُشِمَت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة - عليها السلام - تغسل الدم، وعليّ يمسك، فلما رأت أن الدم لا يرتد إلا كثرة أخذت حصيراً فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألزقته فاستمسك الدم ([٤]). وقد حصل له هذا الأذى العظيم الذي ترتج لعظمته الجبال، هو نبي الله ولم يدع على قومه، بل دعا لهم بالمغفرة، لأنهم لا يعلمون.

فعن عبد الله بن مسعود قال: كأني أنظر إلى رسول الله يحيي نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: ((اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)) ([٥]).

فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وعلى رأسهم محمد قد كانوا ([٦]) على جانب عظيم من الحلم

والتصبر، والعفو والشفقة على قومهم ودعائهم لهم بالهداية والغفران، وعذرهم في

جناياتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون ([٧])، قال: ((اشتد غضب الله على قوم

فعلوا هذا برسول الله))، وهو حينئذ يشير إلى ربايعيته، ((اشتد غضب الله

على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله)) ([٨]).

وفي إصابة النبي يوم أحد عزاء للدعاة فيما ينالهم في سبيل الله من

أذى في أجسامهم، أو اضطهاد لحرياتهم، أو قضاء على حياتهم، فالنبي

هو القدوة قد أوذى وصبر ([٩]).





- [١] انظر: زاد المعاد، ١٩٦/٣، ١٩٩، والرحيق المختوم، ص ٢٥٥، ٢٥٦.
- [٢] أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ١٤١٥/٣، (رقم ١٧٨٩).
- [٣] انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ١٩٩/٣، والرحيق المختوم، ص ٢٦٣، وروى قصة قتل النبي ﷺ لأبي بن خلف: أبو الأسود عن عروة بن الزبير، والزهرى عن سعيد بن المسيب. انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٣٢/٤، وكلاهما مرسل، والطبري، ٦٧/٢، وانظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص ٢٢٦.
- [٤] البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب لبس البيضة، (رقم ٢٩١١)، ومسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد، ١٤١٦/٣، (رقم ١٧٩٠).
- [٥] البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان، ٥١٤/٦، (رقم ٣٤٧٧)، ٢٨٢/١٢، (رقم ٦٩٢٩)، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب غزوة أحد، ١٤١٧/٣، (رقم ١٧٩٢)، وانظر: شرحه في الفتح، ٥٢١/٦، وشرح النووي لصحيح مسلم، ١٤٨/١٢.
- [٦] انظر: شرح النووي لمسلم، ١٤٨/١٢.
- [٧] شرح النووي على مسلم، ١٥٠/١٢، بتصرف.
- [٨] البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي ﷺ من جراح يوم أحد، ٣٧٢/٧، (رقم ٤٠٧٣)، ومسلم، كتاب الجهاد، باب: اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله، ١٤١٧/٣، (رقم ١٧٩٣).
- [٩] السيرة النبوية دروس وعبر، ص ١١٦.





مواقفه الحكيمه

ومن مواقفه الحكيمه في ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١ - ما فعله في غزوة بدر الكبرى:

من مواقفه التي تزخر بالحكمة في هذه الغزوة أنه استشار الناس قبل بدء المعركة؛ لأنه يريد أن يعرف مدى رغبة الأنصار في القتال؛ لأنه شرط له في البيعة أن يمنعوه في المدينة مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم وأبناءهم وأزواجهم، أما خارج المدينة فلم يحصل أي شرط، فأراد أن يستشيرهم، فجمعهم واستشارهم، فقام أبو بكر فقال وأحسن، ثم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال وأحسن، ثم استشارهم ثانياً، فقام المقداد فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، [نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، ومن بين يديك، ومن خلفك، ثم استشار الناس ثالثاً، ففهمت الأنصار أنه يعنيهم، فبادر سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله كأنك تريدنا]، وكان النبي يعنيهم، لأنهم بايعوه على أن يمنعوه



من الأحمر والأسود في ديارهم، فلما عزم على الخروج استشارهم؛ ليعلم ما عندهم، فقال له سعد: لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها أن لا ينصروك إلا في ديارها، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاطن حيث شئت، وصل جبل من شئت، واقطع جبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرتنا فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدواً غداً، إنا لصبرٌ في الحرب، صدقٌ في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فأشرق وجه رسول الله وسرَّ بما سمع، ونشطه ذلك، ثم قال: ((سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، ولكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم))([١]). ومن مواقفه العظيمة في بدر:

اعتماده على ربه - تبارك وتعالى

لأنه قد علم أن النصر لا يكون بكثرة العدد ولا العدة، وإنما يكون بنصر الله مع الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه([٢]): ((اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تعبد في الأرض))، فما زال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدة ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله - عز وجل -: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾([٣]) فأمده الله بالملائكة([٤]).

وقد خرج رسول الله من العريش وهو يقول: ﴿سَيَهْرَمُ الْجَمْعُ وَيَوْلُونَ الدُّبْرَ﴾([٥]).

وقاتل في المعركة، وكان من أشد الخلق وأقواهم وأشجعهم، ومعه أبو بكر

كما كانا في العريش يُجاهدان بالدعاء والتضرع، ثم نزلا فحرضا، وحثا على

القتال، وقاتلا بالأبدان جمعاً بين المقامين الشريفين<([٦]).

وكان أشجع الناس الرسول، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال:

>لقد رأيتنا يوم بدر، ونحن نلوذ برسول الله وهو أقربنا إلى العدو،



وكان من أشد الناس يومئذ بأساً <[٧]>.

وعنه قال: <كنا إذا حمي البأس، ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله فلا يكون أحدنا أدنى إلى القوم منه> <[٨]>.

([١]) سقت هذه القصة بالمعنى، وانظر: سيرة ابن هشام، ٢٥٣/٢، وفتح الباري، ٢٨٧/٧، وزاد المعاد، ١٧٣/٣، والرحيق المختوم، ص ٢٠٠، وقد أخرج البخاري مواضع منها. انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ ٢٨٧/٧، (رقم ٣٩٥٢)، وكتاب التفسير، ٢٧٣٣/٨، وأخرج مسلم بعض المواضع من القصة. انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر، ١٤٠٣/٣ (١٧٧٩)، وانظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ١٩٤/٢.

([٢]) يهتف بربه، أي: يصيح ويستغيث بالله بالدعاء. انظر: شرح النووي، ٨٤/١٢.

([٣]) سورة الأنفال، الآية: ٩.

([٤]) أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الجهاد والسير والمغازي، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، ١٣٨٣/٣، (رقم ٣٦٧١)، والبخاري مع الفتح بمعناه مختصراً، في كتاب المغازي، باب قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ ٢٨٧/٧، (رقم ٣٩٥٢)، وانظر: الرحيق المختوم، ص ٢٠٨.

([٥]) سورة القمر، الآية: ٥٤، والحديث في البخاري مع الفتح، ٢٨٧/٧، (رقم ٣٩٥٣).

([٦]) انظر: البداية والنهاية، ٢٧٨/٣.

([٧]) أخرجه أحمد في المسند، ٨٦/١، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١٤٣/٢.

([٨]) الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ١٤٣/٢، وعزاه ابن كثير في البداية والنهاية،

٢٧٩/٣، إلى النسائي.





مواقف الحكمة في حسن الإعداد للقتال، والشجاعة والبطولة

بعد أن كوّن النبي مجتمعاً متماسكاً بالمدينة، وأصبح هذا المجتمع كتلة واحدة أمام من يريد العاصمة الإسلامية بسوء - وما ذلك إلا بفضل الله ثم بحكمة المصطفى - قام بالجهاد في سبيل الله، بالقلب واللسان، والدعوة والبيان، والسيف والسنان، فقد أرسل ستاً وخمسين سرية، وقاد بنفسه سبعة وعشرين غزوة ([١]).

ومن مواقفه الحكيمة في ذلك على سبيل المثال لا الحصر ما يأتي:

١ - ما فعله في غزوة بدر الكبرى:

من مواقفه التي تزرخ بالحكمة في هذه الغزوة أنه استشار الناس قبل بدء المعركة؛ لأنه يريد أن يعرف مدى رغبة الأنصار في القتال؛ لأنه شرط له في البيعة أن يمنعوه في المدينة مما يمنعون منه أنفسهم وأموالهم

وأبناءهم وأزواجهم، أما خارج المدينة فلم يحصل أي شرط، فأراد أن يستشيرهم، فجمعهم واستشارهم، فقام أبو بكر فقال وأحسن، ثم عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - فقال وأحسن، ثم استشارهم ثانياً، فقام المِقْدَاد فقال: يا رسول الله، امض لما أمرك الله فنحن معك، والله لا نقول لك كما قالت بنو إسرائيل لموسى: اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون، ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكم مقاتلون، [نقاتل عن يمينك، وعن شمالك، ومن بين يديك، ومن خلفك، ثم استشار الناس ثالثاً، ففهمت الأنصار أنه يعينهم، فبادر سعد بن معاذ فقال: يا رسول الله كأنك تريدنا]، وكان النبي يعينهم، لأنهم بايعوه على أن يمنعوه من الأحمر والأسود في ديارهم، فلما عزم على الخروج استشارهم؛ ليعلم ما عندهم، فقال له سعد: لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقاً عليها أن لا ينصروك إلا في ديارها، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم: فاطعن حيث شئت، وصل جبل من شئت، واقطع جبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا كان أحب إلينا مما تركت، وما أمرتنا فيه من أمر فأمرنا تبع لأمرك، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك، والذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك، ما تخلف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدواً غداً، إنا لصبرٌ في الحرب، صدقٌ في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسر بنا على بركة الله، فأشرق وجه رسول الله ﷺ وسرَّ بما سمع، ونشطه ذلك، ثم قال: ((سيروا وأبشروا، فإن الله قد وعدني إحدى الطائفتين، ولكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم)) ([٢]).

ومن مواقفه العظيمة في بدر: اعتماده على ربه - تبارك وتعالى - لأنه قد علم أن النصر لا يكون بكثرة العدد ولا العدة، وإنما يكون بنصر الله مع الأخذ بالأسباب والاعتماد على الله.

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: لما كان يوم بدر نظر رسول الله ﷺ إلى المشركين وهم ألف، وأصحابه ثلاثمائة وتسعة عشر رجلاً، فاستقبل نبي القبلة، ثم مد يديه، فجعل يهتف بربه ([٣]):

((اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا

تعبد في الأرض))، فمازال يهتف بربه، ماداً يديه، مستقبل القبلة، حتى

سقط رداؤه عن منكبيه، فأتاه أبو بكر، فأخذ رداءه فألقاه على منكبيه،

ثم التزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفك مناشدة ربك، فإنه

سينجز لك ما وعدك، فأنزل الله - عز وجل - : ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ

فَأَسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ ([٤]) فأمده





الله بالملائكة ([٥]).

وقد خرج رسول الله من العريش وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ ([٦]).
 وقاتل في المعركة، وكان من أشد الخلق وأقواهم وأشجعهم، ومعه أبو بكر كما كانا في العريش يُجاهدان
 بالدعاء والتضرع، ثم نزلا فحرضا، وحثا على القتال، وقاتلا بالأبدان جمعاً بين المقامين الشريفين ([٧]).
 وكان أشجع الناس الرسول، فعن علي بن أبي طالب رضى الله عنه قال: >لقد رأيتنا يوم بدر، ونحن نلوذ
 برسول الله وهو أقربنا إلى العدو، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً< ([٨]).
 وعنه رضى الله عنه قال: >كنا إذا حمي البأس، ولقي القوم القوم اتقينا برسول الله فلا يكون أحدنا أدنى
 إلى القوم منه< ([٩]).

٢ - مواقفه الحكيمة في غزوة أحد:

من مواقفه في الشجاعة أيضاً، وصبره على أذى قومه ما فعله في غزوة أحد، فقد كان يقاتل قتالاً عظيماً؛
 فإن الدولة كانت أول النهار للمسلمين على المشركين، فانهمز أعداء الله وولوا مدبرين حتى انتهوا إلى
 نسائهم، فلما رأى الرماة هزيمتهم تركوا مركزهم الذي أمرهم رسول الله بحفظه، وذلك أنهم ظنوا أنه ليس
 للمشركين رجعة، فذهبوا في طلب الغنيمة، وتركوا الجبل فكّر فرسان المشركين فوجدوا الثغر خالياً قد خلا
 من الرماة فجازوا منه، وتمكنوا حتى أقبل آخرهم فأحاطوا بالمسلمين، فأكرم الله من أكرم منهم بالشهادة،
 وهم سبعون، وتولى الصحابة، وخلص المشركون إلى رسول الله فجرحوا وجهه، وكسروا رباعيته اليمنى،
 وكانت السفلى، وهشموا البيضة على رأسه، وقاتل الصحابة دفاعاً عن رسول الله ([١٠]).

وكان حول النبي رجلان من قريش، وسبعة من الأنصار، فقال ﷺ لما رهبوه، وقربوا منه: ((من يردهم
 عنا وله الجنة، أو هو رفيقي في الجنة))، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل، ثم رهبوه
 أيضاً فقال: ((من يردهم عنا وله الجنة))، فتقدم رجل من الأنصار فقاتل حتى قتل،
 فلم يزل كذلك حتى قتل السبعة، فقال رسول الله لصاحبيه: ((ما أنصفنا
 أصحابنا)) ([١١]).

وعندما اجتمع المسلمون، ونهضوا مع النبي إلى الشعب الذي نزل
 فيه، وفيهم أبو بكر، وعمر، وعلي، والحارث بن الصمة الأنصاري
 وغيرهم، فلما استندوا إلى الجبل أدرك رسول الله أبا بن خلف،



وهو على جواد له، ويقول: أين محمد، لا نجوت إن نجا؟ فقال القوم: يا رسول الله، أيعطف عليه رجل منا، فأمرهم رسول الله بتركه، فلما دنا منه تناول رسول الله الحربة من الحارث بن الصمة، فلما أخذها منه انتفض انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعر عن ظهر البعير إذا انتفض، ثم استقبله وأبصر ترقوته من فرجة بين سابغة الدرع والبيضة، فطعنه فيها طعنة تدرج منها عن فرسه مراراً، فلما رجع عدو الله إلى قريش وقد خدشه في عنقه خدشاً غير كبير... قال: قتلني والله محمد، فقالوا له: ذهب والله فؤادك والله إن بك من بأس، قال: إنه قد قال لي بمكة: أنا أقتلك، فوالله لو بصق عليّ لقتلني، فمات عدو الله بسرف، وهم قافلون إلى مكة ([١٢]).

وعن سهل بن سعد أنه سُئل عن جرح النبي يوم أحد فقال: جُرح وجه النبي وكُسرت رباعيته، وهُشمت البيضة على رأسه، فكانت فاطمة - عليها السلام - تغسل الدم، وعليّ يمسك، فلما رأت أن الدم لا يرتد إلا كثرة أخذت حصيراً فأحرقته حتى صار رماداً، ثم ألزقته فاستمسك الدم. ([١٣]).
وقد حصل له هذا الأذى العظيم الذي ترتج لعظمته الجبال، هو نبي الله ﷺ ولم يدع على قومه، بل دعا لهم بالمغفرة، لأنهم لا يعلمون.

فعن عبد الله بن مسعود قال: كأني أنظر إلى رسول الله يحيي نبياً من الأنبياء ضربه قومه وهو يمسح الدم عن وجهه، ويقول: ((اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون)) ([١٤]).

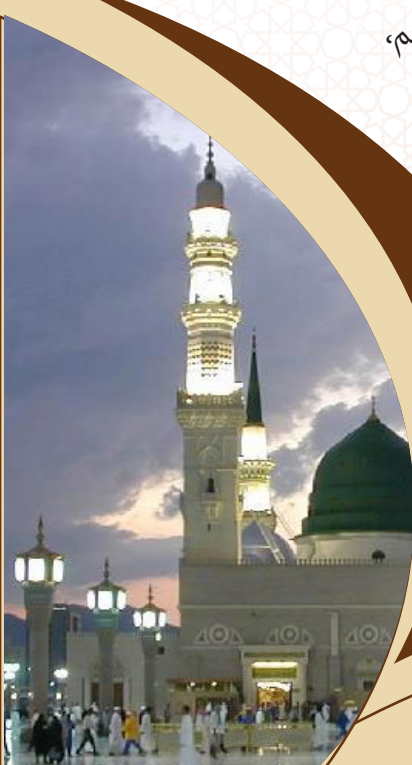
فالأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - وعلى رأسهم محمد قد كانوا ([١٥]) على جانب عظيم من الحلم والتصبر، والعفو والشفقة على قومهم ودعائهم لهم بالهداية والغفران، وعذرهم في جنایاتهم على أنفسهم بأنهم لا يعلمون ([١٦])، قال: ((اشتد غضب الله على قوم فعلوا هذا برسول الله))، وهو حينئذ يشير إلى رباعيته، ((اشتد غضب الله على رجل يقتله رسول الله في سبيل الله)) ([١٧]).

وفي إصابة النبي يوم أحد عزاء للدعاة فيما ينالهم في سبيل الله من أذى في أجسامهم، أو اضطهاد لحرياتهم، أو قضاء على حياتهم، فالنبي هو القدوة قد أؤذي وصبر ([١٨]).

٣- ومن مواقفه التي تزخر بالحكمة والشجاعة ما

فعله في معركة حنين:

بعد أن دارت معركة حنين والتقى المسلمون والكفار، ولّى المسلمون



مدبرين([١])، فطفق رسول الله يركض بغلته قِبَلَ الكفار... ثم قال: ((أي عباس، ناد أصحاب السمرة)) فقال عباس: - وكان رجلاً صيتاً - فقلت بأعلى صوتي: أين أصحاب السمرة؟ قال: فوالله لكأن عطفتهم حين سمعوا صوتي عطفة البقر على أولادها، فقالوا: يا لبيك، يا لبيك، قال: فاقتتلوا والكفار... فنظر رسول الله وهو على بغلته كالمطاول عليها إلى قتالهم، فقال: ((الآن حمي الوطيس))([٢]).

وظهرت شجاعة النبي التي لا نظير لها في هذا الموقف الذي عجز عنه عظماء الرجال([٣]).

وسئل البراء، فقال له رجل: يا أبا عمار، أكنتم وليتم يوم حنين؟ قال: لا والله ما ولي رسول الله، ولكنه خرج شبان أصحابه([٤]) وأخفاؤهم([٥]) حسراً([٦]) ليس عليهم سلاح أو كثير سلاح، فلقوا قوماً رماة لا يكاد يسقط لهم سهم، جمع هوازن، وبني نصر، فرشقوهم رشقاً([٧])، ما يكادون يخطئون، فانكشفوا، فأقبل القوم إلى رسول الله وأبو سفيان بن الحارث يقود بغلته، فنزل ودعا واستنصر وهو يقول:

أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب اللهم نزل نصرك([٨])

قال البراء: كنا والله إذا حمر البأس([٩]) نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي ﷺ([١٠]). وفي رواية لمسلم عن سلمة قال: مررت على رسول الله منهزماً([١١])، وهو على بغلته الشهباء، فقال رسول الله: ((لقد رأى ابن الأكوخ فزعاً)). فلما غشوا رسول الله نزل عن البغلة، ثم قبض قبضة من تراب من الأرض، ثم استقبل به وجوههم، فقال: ((شاهت الوجوه))([١٢])، فما خلق الله منهم إنساناً إلا ملأ عينيه تراباً بتلك القبضة، فولوا مدبرين، فهزمهم الله تعالى، وقسم رسول الله غنائمهم بين المسلمين([١٣]).

وقد قال العلماء: إن ركوب النبي البغلة في موضع الحرب وعند اشتداد البأس هو النهاية في الشجاعة والثبات، ولأنه أيضاً يكون معتمداً يرجع الناس إليه، وتطمئن قلوبهم به وبمكانه، وإنما فعل هذا عمداً، وإلا فقد كانت له أفراس معروفة.

ومما يدل على شجاعته تقدمه وهو يركض بغلته إلى جمع المشركين، وقد فر الناس عنه، ونزوله إلى الأرض حين غشوه مبالغة في الشجاعة والصبر، وقيل: فعل ذلك مواساة لمن كان نازلاً على الأرض من المسلمين، وقد أخبر الصحابة - رضي الله عنهم - بشجاعته في جميع المواطن([١٤]).



٤ - ومن مواقفه التي تزخر بالحكمة والشجاعة:

ما رواه البخاري ومسلم، عن أنس رضى الله عنه قال: كان النبي أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس، ولقد فزع أهل المدينة ذات ليلة، فانطلق الناس قَبْلَ الصوت، فاستقبلهم النبي قد سبق الناس إلى الصوت، وهو يقول: ((لم تراعوا، لم تراعوا))، وهو على فرس لأبي طلحة عري ما عليه سرج، في عنقه سيف، فقال: ((لقد وجدته بحرًا))، أو ((إنه لبحر))([٣٣]).

وهذا المثال وغيره من الأمثلة السابقة تدل دلالة واضحة على أن النبي أشجع إنسان على الإطلاق، فلم يكتحل الوجود بمثله، وقد شهد له بذلك الشجعان الأبطال([٣٤]).

قال البراء: كنا والله إذا احمر البأس نتقي به، وإن الشجاع منا للذي يحاذي به، يعني النبي([٣٥]).

وقال أنس في الحديث السابق: >كان النبي أحسن الناس، وأجود الناس، وأشجع الناس....

وكانت هذه الشواهد السابقة لشجاعته القلبية، أما شجاعته العقلية فسأكتفي بشاهد واحد؛ فإنه يكفي عن ألف شاهد ويزيد، وهو موقفه من تعنت سهيل بن عمرو، وهو يملئ وثيقة صلح الحديبية، إذ تنازل عن كلمة >بسم الله الرحمن الرحيم إلى بسمك اللهم وعن كلمة >محمد رسول الله إلى كلمة: محمد بن عبد الله، وقبوله شرط سهيل على أن لا يأتي النبي رجل من قريش حتى ولو كان مسلماً إلا رده إلى أهل مكة، وقد استشاط الصحابة غيظاً، وبلغ الغضب حدًا لا مزيد عليه، وهو صابر ثابت حتى انتهت الوثيقة، وكان بعد أيام فتحاً مبيناً.

فضرب بذلك المثل الأعلى في الشجاعتين: القلبية، والعقلية، مع بعد النظر، وأصالة الرأي، وإصابته؛ فإن من الحكمة أن يتنازل الداعية عن أشياء لا تضر بأصل قضيته لتحقيق أشياء أعظم منها([٣٦]).

وجميع ما تقدم من نماذج من شجاعته وثباته، وهذا نقطة من بحر، وإلا فإنه لو كُتِبَ في شجاعته بالاستقصاء لَكُتِبَ مجلدات، فيجب على كل مسلم، وخاصة الدعاة إلى الله أن يتخذوا

الرسول قدوةً في كل أحوالهم وتصرفاتهم، وبذلك يحصل الفوز والنجاح، والسعادة في الدنيا والآخرة، **مَلَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا** ([٣٧]).

([١]) انظر تلك البطولات الحكيمة في: البخاري مع الفتح، كتاب

المغازي، باب غزوة العشرة، ٢٧٩/٧، (رقم ٩٤٩٣)، ومسلم، كتاب



الجهاد والسير، باب عدد غزوات النبي ، ١٤٤٧/٣، (رقم ١٢٥٤)، وشرح النووي على مسلم، ١٩٥/١٢، وفتح الباري، ٢٨٠/٧، ٢٨١، والبداية والنهاية لابن كثير، ٢٤١/٣، ٢١٦/٥، ٢١٧، وزاد المعاد لابن القيم، ٥/٣. ([٢]) سقت هذه القصة بالمعنى، وانظر: سيرة ابن هشام، ٢٥٣/٢، وفتح الباري، ٢٨٧/٧، وزاد المعاد، ١٧٣/٣، والرحيق المختوم، ص ٢٠٠، وقد أخرج البخاري مواضع منها. انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ﴾ ٧٨٢/٧، (رقم ٣٩٥٢)، وكتاب التفسير، ٢٧٣٣/٨، وأخرج مسلم بعض المواضع من القصة. انظر: صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب غزوة بدر، ١٤٠٣/٣ (١٧٧٩)، وانظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ١٩٤/٢.

([٣]) يهتف بربه، أي: يصيح ويستغيث بالله بالدعاء. انظر: شرح النووي، ٨٤/١٢.

([٤]) سورة الأنفال، الآية: ٩.

([٥]) أخرجه مسلم بلفظه في كتاب الجهاد والسير والمغازي، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر، ١٣٨٣/٣، (رقم ١٧٦٣)، والبخاري مع الفتح بمعناه مختصراً، في كتاب المغازي، باب قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ﴾ ٢٨٧/٧، (رقم ٣٩٥٢)، وانظر: الرحيق المختوم، ص ٢٠٨٨.

([٦]) سورة القمر، الآية: ٤٥، والحديث في البخاري مع الفتح، ٢٨٧/٧، (رقم ٣٩٥٣).

([٧]) انظر: البداية والنهاية، ٢٧٨/٣.

([٨]) أخرجه أحمد في المسند، ٨٦/١، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي، ١٤٣/٢.

([٩]) الحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ١٤٣/٢، وعزاه ابن كثير في البداية والنهاية، ٢٧٩/٣، إلى النسائي.

([١٠]) انظر: زاد المعاد، ١٩٦/٣، ١٩٩، والرحيق المختوم، ص ٢٥٥، ٢٥٦.

([١١]) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد، ١٤١٥/٣، (رقم ١٧٨٩).

([١٢]) انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ١٩٩/٣، والرحيق المختوم، ص ٢٦٣، وروى قصة قتل

النبي لأبي بن خلف: أبو الأسود عن عروة بن الزبير، والزهري عن سعيد بن

المسيب. انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٣٢/٤، وكلاهما مرسل، والطبري،

٦٧/٢، وانظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص ٢٢٦.

([١٣]) البخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب لبس البيضة، (رقم

٢٩١١)، ومسلم، كتاب الجهاد، باب غزوة أحد، ١٤١٦/٣، (رقم

١٧٩٠).



- [[١٤]] البخاري مع الفتح، كتاب الأنبياء، باب حدثنا أبو اليمان، ٥١٤/٦، (رقم ٣٤٧٧)، ٢٨٢/١٢، (رقم ٦٩٢٩)، وأخرجه مسلم في كتاب الجهاد، باب غزوة أحد، ١٤١٧/٣، (رقم ١٧٩٢)، وانظر: شرحه في الفتح، ٥٢١/٦، وشرح النووي لصحيح مسلم، ١٤٨/١٢.
- [[١٥]] انظر: شرح النووي لمسلم، ١٤٨/١٢.
- [[١٦]] شرح النووي على مسلم، ١٥٠/١٢ بتصرف.
- [[١٧]] البخاري مع الفتح، كتاب المغازي، باب ما أصاب النبي من جراح يوم أحد، ٣٧٢/٧ (رقم ٤٠٧٣)، ومسلم، كتاب الجهاد، باب: اشتداد غضب الله على من قتله رسول الله، ١٤١٧/٣، (رقم ١٧٩٣).
- [[١٨]] السيرة النبوية دروس وعبر، ص ١١٦.
- [[١٩]] كان مع النبي في هذه الغزوة ألفان من أهل مكة، مع عشرة آلاف من أصحابه الذين خرجوا معه من المدينة ففتح بهم. انظر: زاد المعاد، ٤٦٨٨/٣.
- [[٢٠]] مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب: غزوة حنين، وقد اختصرت ألفاظه، ١٣٩٨/٣، (رقم ١٧٧٥).
- [[٢١]] انظر: الرحيق المختوم، ص ٤٠١، وهذا الحبيب يا محب، ص ٤٠٨.
- [[٢٢]] جمع شباب. شرح النووي لمسلم، ١١٧/١٢.
- [[٢٣]] جمع خفيف، وهم المسارعون المستعجلون. شرح النووي لمسلم، ١١٧/١٢.
- [[٢٤]] حسراً: جمع حاسر، أي بغير دروع، وقد فسره بقوله: ليس عليهم سلاح. شرح النووي لمسلم، ١١٧/١٢.
- [[٢٥]] رشقا: هو بفتح الراء، وهو مصدر، وأما الرشق بالكسر فهو اسم للسهم التي ترميها الجماعة دفعة واحدة. انظر: شرح النووي، ١١٨/١٢.
- [[٢٦]] مسلم، في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، مع التصرف في بعض الكلمات، ١٤٠٠/٣، (رقم ٦٧٧١)، والبخاري مع الفتح، كتاب الجهاد، باب من صف أصحابه عند الهزيمة ونزل عن دابته فاستنصر، ١٠٥ /٦، ٢٧/٨، ٢٨، (رقم ٢٩٣٠).
- [[٢٧]] إذا احمر البأس: كناية عن شدة الحرب، واستعير ذلك لحمرة الدماء الحاصلة فيها في العادة. انظر: شرح النووي، ١٢١/١٢.
- [[٢٨]] رواه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، ١٤٠١/٣، (رقم ٧٩/١٧٧٦).





- [٢٩] قال العلماء: قوله: ((منهزماً)) حال من ابن الأكوع، وليس النبي . انظر: شرح النووي ١٢/١٢٢.
- [٣٠] شامت الوجوه، أي: قبحت. انظر: شرح النووي، ١٢/١٢٢.
- [٣١] أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب غزوة حنين، ١٤٠٢/٣، (رقم ١٧٧٧).
- [٣٢] انظر: شرح النووي على مسلم، ١١٤/١٢.
- [٣٣] البخاري مع الفتح، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل، ٤٥٥/١٠، (رقم ٦٠٣٣)، ومسلم، كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي وتقدمه للحرب، ١٨٠٢/٤، (رقم ٢٣٠٧).
- [٣٤] انظر: رواية علي بن أبي طالب في شجاعة النبي في مسند أحمد، ٨٦/١، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ١٤٣٣/٢، وتقدم تخريجه.
- [٣٥] أخرجه مسلم، ١٤٠١/٣، (رقم ٧٩/١٧٧٦)، وتقدم تخريجه.
- [٣٦] انظر: وثيقة صلح الحديبية كاملة في البخاري مع الفتح، ٣٢٩/٥، (رقم ٢٧٣١، ٢٧٣٢)، وشرح الوثيقة في الفتح، ٣٥٢-٣٣٣/٥، ومسند أحمد، ٣٣١-٣٢٨/٤، وانظر: هذا الحبيب يا محب، ٥٣٢ص.
- [٣٧] سورة الأحزاب، الآية: ٢١.



رسول الله

مواقف النبي بعد الهجرة _ الجزء الاول

المطلب الأول: مواقف الحكمة في الإصلاح والتأسيس

عندما وصل رسول الله إلى المدينة كان فيها مجموعات من السكان متباينة في عقيدتها، مختلفة في أهدافها، متفرقة في اجتماعاتها، وكانت لديهم خلافات بعضها قديم موروث، وبعضها حديث موجود، وقد كانت هذه المجموعات على ثلاثة أصناف:

- ١ - المسلمون، من: الأوس، والخزرج، والمهاجرين.
 - ٢ - المشركون، من: الأوس، والخزرج، الذين لم يدخلوا في الإسلام.
 - ٣ - اليهود، وهم عدة قبائل: بنو قينقاع، وقد كانوا حلفاء الخزرج، وبنو النضير، وبنو قريظة، وهاتان القبيلتان كانتا حلفاء الأوس.
- وقد كان هناك خلاف مستحکم بين الأوس والخزرج، وكانت بينهما حروب في الجاهلية، وآخرها يوم بُعث ولا يزال في النفوس شيء منها ([١]).



لقد قام النبي بحل هذه المشكلات كلها، بحكمته العظيمة، وحسن سياسته، وكان حله وإصلاحه لهذه الأوضاع، وجمعه لشمل المسلمين كالاتي:

١ - بناء المسجد والاجتماع فيه أول عمل وحد بين القلوب:

كان أول عمل قام به في الإصلاح والتأسيس بناء المسجد النبوي، واشترك المسلمون جميعاً في البناء، وعلى رأسهم إمامهم محمد، وكان أول عمل تعاوني عام، وحد بين القلوب، وأظهر الهدف العام للعمل، وقد كان لكل حي في المدينة - قبل قدوم النبي مكان يلتقون فيه، فيسمرون ويسهرون، وينشدون الأشعار، فكانت هذه الحال تدل على التفرقة والاختلاف، فعندما بُني المسجد كان مرتكز المسلمين جميعاً، ومكان تجمعهم، يلتقون فيه في كل وقت، ويسألون رسول الله فيعلمهم ويرشدهم ويوجههم([٢]).

وبهذا تجمعت الأندية، والتفت الأحياء، واقتربت القبائل، وتحابَّت البطون، وانقلبت التفرقة إلى وحدة، ولم تعد في المدينة جماعات، بل جماعة واحدة، ولم تعد زعامات، بل قائد واحد، هو رسول الله، يتلقى من ربه الأوامر والنواهي، ويعلم أمته، فأصبح المسلمون صفاً واحداً، وامتزجت النفوس والعقليات، وتقوت الوحدة، وتآلفت الأرواح، وتعاونت الأجسام([٣]).

ولم يكن المسجد موضعاً لأداء الصلوات الخمس فحسب، بل كان جامعة يتلقى فيها المسلمون تعاليم الإسلام وتوجيهاته، ويجتمعون فيه، وتلتقي فيه العناصر القبلية المختلفة التي طالما نافرت بينها النزعات الجاهلية وحروبها وقاعدة لإدارة جميع الشؤون، وبث الانطلاقات، وموضعاً لعقد المجالس الاستشارية والتنفيذية.

ولهذا ما أقام رسول الله بمكان في المدينة إلا كان أول ما يفعله بناء مسجد يجتمع فيه المؤمنون، فقد أقام مسجد قباء حين أقام فيها، وصلى الجمعة في بني سالم بن عوف، بين قباء والمدينة، في بطن وادي (رانونا) فلما أن وصل إلى المدينة كان أول عمل عمله بناء المسجد فيها([٤]).

٢ - دعوة اليهود إلى الإسلام بالقول الحكيم:

ومن قواعد الإصلاح والتأسيس التي قام بها النبي بعد أن دخل المدينة - الاتصال باليهود بواسطة عبد الله بن سلام رضى الله عنه ودعوتهم إلى الإسلام.



فعن أنس قال: بلغ عبد الله بن سلام مقدم النبي إلى المدينة، فأتاه، فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي، قال: ما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام يأكله أهل الجنة، وما بال الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال رسول الله: ((خبرني بهن أنفاً جبريل)) قال ابن سلام: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقال رسول الله: ((أما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد حوت، وأما الشبه في الولد فإن الرجل إذا غشي المرأة فسبقها ماؤه كان الشبه له، وإذا سبق ماؤها كان الشبه لها)) [قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأنت رسول الله]، قال: يا رسول الله، إن اليهود قوم بُهتٌ، إن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم بهتوني عندك، فأرسل نبي الله فأقبلوا فدخلوا عليه، فقال لهم رسول الله: ((يا معشر اليهود، ويلكم اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أني رسول الله حقاً، وأني جئتكم بحق، فأسلموا))، قالوا: ما نعلمه، قالوا للنبي -قالها ثلاث مرات - فقال رسول الله: ((فأي رجل فيكم عبد الله بن سلام؟)) قالوا: سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: ((أفرايتم إن أسلم؟)) قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: ((أفرايتم إن أسلم؟)) قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: ((أفرايتم إن أسلم؟)) قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم، قال: ((يا ابن سلام اخرج عليهم))، فخرج فقال: يا معشر اليهود، اتقوا الله فوالله الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت، [شرنا، وابن شرنا]، ووقعوا فيه ([5]).

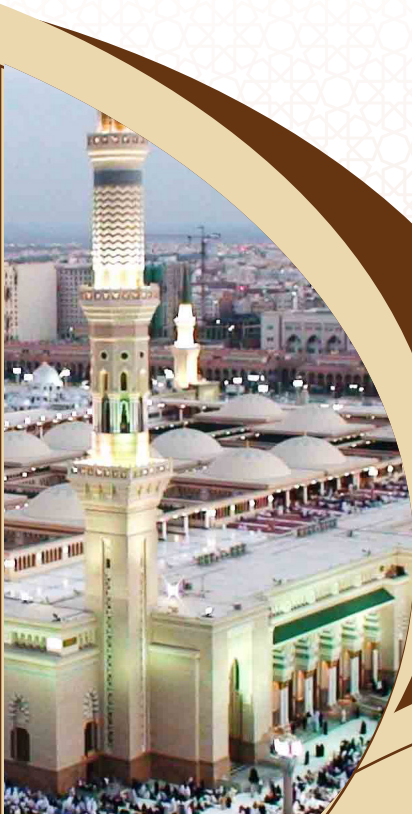
وهذه أول تجربة تلقاها رسول الله من اليهود عند دخول المدينة ([6]).

ومن حسن سياسته أنه وافق على إخفاء عبد الله بن سلام حتى يسأل اليهود عن مكانته بينهم، وعندما أثنوا عليه، ورفعوا من قدره أمره بالخروج فخرج وأعلن شهادته، وأظهر ما كان يكتمه اليهود من صدق النبي. ثم ضبطهم بالمعاهدة التي ستأتي.

٣ - المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار:

كما قام النبي بالبداية ببناء المسجد ودعوة اليهود إلى الإسلام، قام بالمؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، وهذا من الرشد، والكمال النبوي، والنضج السياسي، والحكمة المحمدية ([7]).

آخى بينهم في دار أنس بن مالك، وكانوا تسعين رجلاً، نصفهم من المهاجرين، ونصفهم من الأنصار، آخى بينهم على المواساة، يتوارثون





بعد الموت دون ذوي الأرحام إلى حين وقعة بدر، فلما أنزل الله : ﴿وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ ([٨])، ردّ التوارث إلى الرحم دون عقد الأخوة ([٩]).

ذابت عصبية الجاهلية، فلا حمية إلا للإسلام، وسقط فوارق النسب واللون والوطن، فلا يتقدم أحد ولا يتأخر إلا بمروءته وتقواه، وكانت عواطف الأخوة، والإيثار، والمواساة والمؤانسة تمتزج في هذه الأخوة، وتملاً للمجتمع الجديد بأروع الأمثال؛ وفي هذه الأخوة أقوى مظهر من مظاهر عدالة الإسلام الإنسانية والأخلاقية ([١٠]).

ولم تكن هذه المؤاخاة معاهدة دونت على الورق فحسب، ولا كلمات قيلت باللسان فقط؛ وإنما كانت مؤاخاة سجلت على صفحات القلوب، وعملاً يرتبط بالدماء والأموال، لا كلاماً يثرثر به اللسان، إنها مؤاخاة في القول والعمل، والنفس والمتاع والأملك، في العسر واليسر ([١١]).

ومن أروع الأمثال لذلك ما رواه البخاري في صحيحه «آخى رسول الله بين عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن الربيع، فقال سعد: قد علمت الأنصار أي من أكثرها مالاً، فأقسم مالي بيني وبينك نصفين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فسمها لي أطلقها، فإذا انقضت عدتها فتزوجها، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقكم؟ فدلوه على سوق بني قينقاع فما انقلب إلا ومعه فضل من أقط وسمن، ثم تابع الغدوة ثم جاء يوماً وبه أثر صُفرة، فقال النبي : ((مَهَيْم؟)) ([١٢])، قال: تزوجت امرأة من الأنصار، فقال: ((ما سقت فيها؟)) قال: وزن نواة من ذهب، أو نواة من ذهب، فقال: ((أولم ولو بشاة)) ([١٣]).

٤ - التربية الحكيمة:

وقد كان يتعهدهم بالتعليم والتربية وتزكية النفوس، والحث على مكارم الأخلاق، ويؤدبهم بآداب الود والإخاء والمجد والشرف والعبادة والطاعة ([١٤]).

فقد كان يقول : ((يا أيها الناس: أفشوا السلام، وأطعموا الطعام، وصلوا بالليل والناس نيام، تدخلوا الجنة بسلام)) ([١٥]).

ويقول: ((لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه)) ([١٦])، ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)) ([١٧]).

ويقول: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)) ([١٨]).

ويقول: ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً))، وشبك بين



أصابه ([١٩]).

ويقول: ((لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، التقوى ها هنا)) - ويشير إلى صدره ثلاث مرات - ((بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام: دمه، وماله وعرضه)) ([٢٠]).

وقال: ((لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث ليال، يلتقيان فيعرض هذا، ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام)) ([٢١]).

وقال: ((تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين، ويوم الخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا، انظروا هذين حتى يصطلحا)) ([٢٢]).

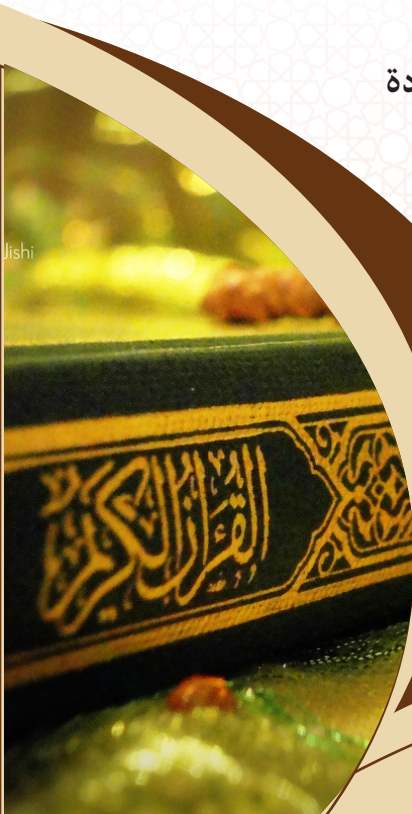
وقال: ((تعرض الأعمال في كل يوم خميس وإثنين فيغفر الله في ذلك اليوم لكل امرئ لا يشرك بالله شيئاً إلا امرأ كانت بينه وبين أخيه شحناء، فيقال: اركوا ([٢٣]) هذين حتى يصطلحا، اركوا هذين حتى يصطلحا)) ([٢٤]).

وقال: ((انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً)) قيل: يا رسول الله، هذا نصرته مظلوماً، فكيف أنصره إذا كان ظالماً؟ قال: ((تحجزه أو تمنعه من الظلم فذلك نصره)) ([٢٥]).

وقال: ((حق المسلم على المسلم ست))، قيل: ما هن يا رسول الله؟ قال: ((إذا لقيته فسلم عليه، وإذا دعاك فأجبه، وإذا استنصحك فانصح له، وإذا عطس فحمد الله فشمته، وإذا مرض فعده، وإذا مات فاتبعه)) ([٢٦]).

وعن البراء بن عازب قال: أمرنا رسول الله بسبع ونهانا عن سبع: ((أمرنا بعبادة المريض، واتباع الجنائز، وتشميت العاطس، وإجابة الداعي، وإفشاء السلام، ونصر المظلوم، وإبرار المقسم، ونهانا عن خواتيم الذهب، وعن الشرب في الفضة)) - أو قال: ((في أنية الفضة - وعن المياثر ([٢٧])، والقسي ([٢٨])، وعن لبس الحرير، والديباج ([٢٩])، والإستبرق)) ([٣٠]).

وقال: ((لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم، أفشوا السلام بينكم)) ([٣١]).





وسئل : أي الإسلام خير؟ فقال: ((تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف))([٣٢]).
 ويقول: ((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))([٣٣]).
 وقال : ((من لا يرحم لا يُرحم))([٣٤]).
 وقال: ((من لا يرحم الناس لا يرحمه الله))([٣٥]).
 وقال : ((سباب المسلم فسوقٌ، وقتاله كفر))([٣٦]).

وسواء وصلت هذه النصوص للأَنْصار من النبي مباشرة، أو سمعوا بها من بعض المهاجرين الذين سمعوا من النبي قبل الهجرة، فكل ذلك تربية منه لأصحابه جميعاً، ولمن بلغته هذه النصوص إلى يوم الدين. وغير ذلك من النصوص التي ربي بها محمد أصحابه فقد كان يحثهم على الإنفاق، ويذكر من فضائله ما يشوق النفوس والقلوب، وكان يحث على الاستعفاف عن المسألة، ويذكر لهم فضل الصبر والقناعة، وكان يرغبهم في العبادات بما فيها من الفضائل والأجر والثواب، وكان يربطهم بالوحي النازل من السماء ربطاً موثقاً يقرؤه عليهم ويقرؤونه؛ لتكون هذه الدراسة إشعاراً بما عليهم من حقوق الدعوة، فضلاً عن ضرورة الفهم والتدبر.

وهكذا رفع معنوياتهم، ودربهم على أعلى القيم والمثل حتى صاروا صورة لأعلى قمة من الكمال الإنساني. يمثل هذا استطاع النبي أن يبني مجتمعاً مسلماً أروع وأشرف مجتمع عرفه التاريخ، وأن يضع لمشكلات هذا المجتمع حلاً بعد أن كان يعيش في ظلمات الجهل والخرافات، فأصبح مجتمعاً يضرب به المثل في جميع الكمال الإنساني، وهذا بفضل الله وحده، ثم بفضل هذا النبي الحكيم، فحريٌّ بالدعاة إلى الله أن يسلكوا مسلكه، ويهتدوا بهديه ([٣٧]).

٥ - ميثاق المهاجرين والأنصار وموادعة اليهود:

بعد أن قام رسول الله بالموآخاة بين المهاجرين والأنصار، عقد معاهدة أزاح بها لك ما كان من حزازات الجاهلية والنزعات القبلية، ولم يترك مجالاً لتقاليد الجاهلية، وقد وضع في هذه المعاهدة ميثاقاً للمهاجرين والأنصار، متضمناً موادعة اليهود بالمدينة، وهذا من أبرز الجهود التي بدلها في الإصلاح والتأسيس.



كتب رسول الله كتاباً بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود، وعاهدهم، وأقرهم على أموالهم، واشترط عليهم، وشرط لهم (٣٨).

وهذا الميثاق في غاية الدقة، وحسن السياسة، وكمال الحكمة من النبي، فقد ربط بين جميع المسلمين في المدينة وبين اليهود، فأصبحوا كتلة واحدة، يستطيعون أن يقفوا في وجه كل من يريد أهل المدينة بسوء. وهذه الخطوات الخمس: بناء المسجد، ودعوة اليهود إلى الإسلام، والمؤاخاة بين المؤمنين وتربيتهم، وكتابة الميثاق، هي التي حل بها النبي - بفضل الله تعالى - الخلاف المستحکم بين سكان المدينة، وأزال بها جميع آثار الماضي، ووحد بها قلوب المسلمين، وطبق بها النظام المتقن داخل المدينة، ومن ثم انتشر هذا النظام، والدعوة إلى الله من هذه المدينة إلى جميع أقطار العالم (٣٩).





من مواقفه الحكيمة في الأسواق والمواسم

بأمر النبي دعوته في مكة بعد عودته من الطائف في شهر ذي القعدة سنة عشر من النبوة، فبدأ يذهب إلى المواسم التي تقام في الأسواق مثل: عكاظ، ومجنة، وذي مجاز، وغيرها، التي تحضرها القبائل العربية للتجارة والاستماع لما يُلقى فيها من الشعر، ويعرض نفسه على هذه القبائل يدعوها إلى الله - تعالى -، وجاء موسم الحج لهذه السنة فأتاهم قبيلة قبيلة يعرض عليهم الإسلام كما كان يدعوهم منذ السنة الرابعة من النبوة.

ولم يكتف رسول الله بعرض الإسلام على القبائل فحسب، بل كان يعرضه على الأفراد أيضاً. وكان يرغب جميع الناس بالفلاح، فعن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه، قال: أخبرني رجل يقال له: ربيعة بن عباد، من بني الدليل، وكان جاهلياً، قال: رأيت النبي في الجاهلية في سوق ذي المجاز وهو يقول: ((يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا))، والناس مجتمعون عليه، ووراءه رجل وضيء الوجه، أحول، ذو غديرتين، يقول: إنه صابئ كاذب، يتبعه حيث ذهب، فسألت عنه، فذكروا لي نسب رسول الله وقالوا:

هذا عمه أبو لهب ([١]).

وقد كانت الأوس والخزرج يحجون كما تحج العرب دون اليهود، فلما رأى الأنصار أحواله ودعوته، عرفوا أنه الذي تتوعدهم به اليهود، فأرادوا أن يسبقوهم؛ ولكنهم لم يبايعوا النبي في هذه السنة، ورجعوا إلى المدينة ([٢]).

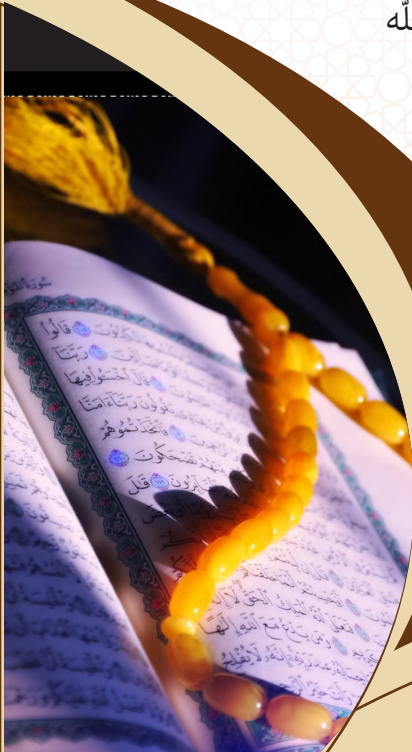
وفي موسم الحج من السنة الحادية عشرة من النبوة، عرض النبي نفسه على القبائل، وبينما الرسول يعرض نفسه، مر بعقبة مَنى فوجد بها ستة نفر من شباب يثرب، فعرض عليهم الإسلام، فأجابوا دعوته، ورجعوا إلى قومهم وقد حملوا معهم رسالة الإسلام حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله ([٣]). ثم استدار العام وأقبل الناس إلى الحج سنة ٢١ من النبوة، وكان من بين حجاج يثرب اثنا عشر رجلاً، فيهم خمسة من الستة الذين كانوا قد اتصلوا برسول الله في العام السابق، والتقوا حسب الموعد مع رسول الله عند العقبة بمنى، وأسلموا وبايعوا رسول الله بيعة النساء ([٤]).

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه أن رسول الله قال وحوله عصابة من أصحابه: ((تعالوا بايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئاً، ولا تسرقوا، ولا تزنوا، ولا تقتلوا أولادكم، ولا تأتوا ببهتانٍ تفترونه بين أيديكم وأرجلكم، ولا تعصوني في معروفٍ، فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئاً فعوقب به في الدنيا فهو له كفارة، ومن أصاب من ذلك شيئاً فستره الله عليه فأمره إلى الله: إن شاء عاقبه، وإن شاء عفا عنه)) فبايعناه على ذلك ([٥]).

وبعد أن انتهت المبايعة، وانتهى الموسم بعث النبي مع هؤلاء مصعب بن عمير ليعلم المسلمين شرائع الإسلام؛ وليقوم بنشر الإسلام، وقد قام بذلك أتم قيام، وفي موسم الحج في السنة الثالثة عشرة من النبوة حضر لأداء الحج من يثرب ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان، وكلهم قد أسلموا.

فلما قدموا مكة واعدوا النبي عند العقبة، وجاءهم على موعدهم، ثم تكلم رسول الله ، ثم قالوا: يا رسول الله، على ما نبايعك؟ فقال: ((تبايعوني على: السمع والطاعة في النشاط والكسل، والنفقة في العسر واليسر، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن تقولوا في الله لا تخافون لومة لائم، وعلى أن تنصروني فتمنعوني إذا قدمت عليكم ما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأبنائكم ولكم الجنة)) ([٦])، فقاموا إليه فبايعوه.

وبعد عقد هذه البيعة جعل عليهم رسول الله اثني عشر زعيماً،





يكونون نقباء على قومهم، وكانوا تسعة من الخزرج، وثلاثة من الأوس، ثم رجعوا إلى يثرب، وعندما وصلوا أظهروا الإسلام فيها، ونفع الله بهم في الدعوة إلى الله تعالى ([٧]).

وبعد أن تمت بيعة العقبة الثانية ونجح النبي ﷺ في تأسيس وطن للإسلام، انتشر الخبر في مكة كثيراً، وثبت لقريش أن النبي قد بايع أهل يثرب، فاشتد أذاهم على من أسلم في مكة، فأمر النبي بالهجرة إلى المدينة، فهاجر المسلمون، فاجتمع قريش في يوم ٦٢ من شهر صفر سنة ٤١ من النبوة، وأجمعوا على قتل النبي، فأوحى الله إلى النبي بذلك؛ ولحسن سياسته وحكمته أمر علياً أن يبيت في فراشه تلك الليلة، فبقي المشركون ينظرون إلى عليٍّ من صير الباب ([٨])، وخرج رسول الله، ومر بأبي بكر، وهاجر إلى المدينة ([٩]).

وهذه المواقف العظيمة التي وقفها رسول الله دليل واضح على حكمة النبي، وعلى صبره، وشجاعته، وأنه حينما علم بأن قريشاً قد طغت، ورفضت الدعوة بحث عن مكان يتخذ فيه قاعدة للدعوة الإسلامية، ولم يكتف بذلك، بل أخذ منهم البيعة والمعاهدة على نصرته الإسلام، وتم ذلك في مؤتمرين: بيعة العقبة الأولى، ثم الثانية، وعندما وجد مكان الدعوة الذي يتخذ قاعدة لها، ووجد أنصار الدعوة أذن بالهجرة لأصحابه، وأخذ هو بالأسباب عندما تأمرت عليه قريش، وهذا لا يعتبر جنناً، ولا فراراً من الموت؛ ولكن يعتبر أخذاً بالأسباب مع التوكل على الله تعالى، وهذه السياسة الحكيمة من أسباب نجاح الدعوة، وهكذا ينبغي أن يكون الدعاة إلى الله، فإن النبي هو قدوتهم وإمامهم ([١٠]).

([١]) أخرجه أحمد، ٤٩٢/٣، ٣٤١/٤، وسنده حسن، وله شاهد عند ابن حبان، برقم ١٦٨٣، (موارد) من حديث طارق بن عبد الله المحاربي، والحاكم في المستدرک بإسنادين، وقال عن الإسناد الأول: <صحيح على شرط الشيخين، رواه كلهم ثقات أثبات>، ١٥/١.

([٢]) انظر: زاد المعاد، ٤٣/٣، ٤٤، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ١٣٦/٢،

والرحيق المختوم، ص ١٢٩، والبداية والنهاية، ١٤٩/٣، وابن هشام، ٣١/٢.

([٣]) انظر: التاريخ الإسلامي لمحمود شاكر ١٣٧/٢، وهذا الحبيب يا

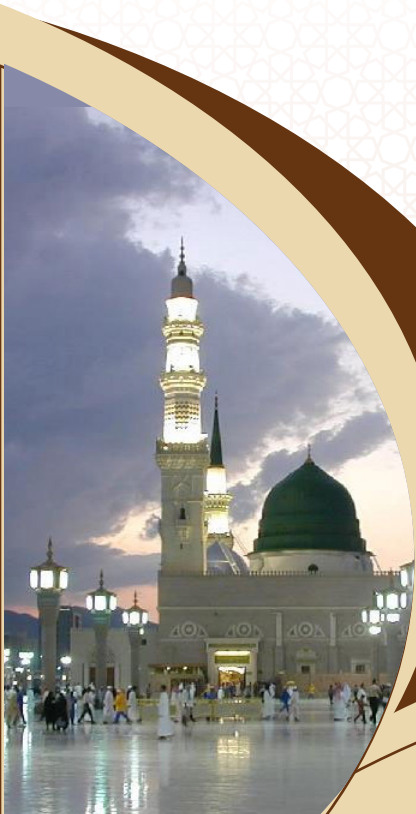
محب، ١٤٥/٢، والرحيق المختوم، ص ١٣٢، وزاد المعاد، ٤٥/٣، وسيرة

ابن هشام، ٣٨/٢، والبداية والنهاية، ١٤٩/٣.

([٤]) انظر: زاد المعاد، ٤٦/٣، ٤٤، والرحيق المختوم، ص ١٣٩،



- والتاريخ الإسلامي، ١٣٩/٢، وهذا الحبيب يا محب، ص ١٤٥، وسيرة ابن هشام، ٣٨/٢.
- [[٥]] البخاري مع الفتح، كتاب مناقب الأنصار، باب وفود الأنصار إلى النبي ﷺ في مكة ٢١٩/٧ (رقم ٣٨٩٢)، وكتاب الإيمان، باب حدثنا أبو اليمان، ٦٤/١ (رقم ١٨٨).
- [[٦]] أحمد في المسند، ٣٢٢/٣، والبيهقي، ٩/٩، والحاكم وصححه، ووافقه الذهبي، ٦٢٤/٢، وحسن إسناده للحافظ في الفتح، ١١٧/٧.
- [[٧]] انظر: سيرة ابن هشام، ٤٩/٢، والبداية والنهاية، ١٥٨/٣، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ٢٤١/٢، والرحيق المختوم، ص ١٤٣.
- [[٨]] صير الباب: هو شق الباب. انظر: المعجم الوسيط، مادة (صار)، ٥٣١/١.
- [[٩]] انظر: سيرة ابن هشام، ٩٥/٢، والبداية والنهاية، ١٧٥/٣، وزاد المعاد، ٥٤/٣، والسيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي، ص ٦١، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ١٤٨/٢، وهذا الحبيب يا محب، ص ١٥٦.
- [[١٠]] انظر: السيرة النبوية دروس وعبر، ص ٦٨.





حكيمته في دخوله إلى مكة في جوار المطعم بن عدي

ثم سار حتى وصل إلى مكة فأرسل رجلاً من خزاعة إلى مطعم بن عدي ليدخل في جواره، فقال مطعم: نعم، ودعا بنيه وقومه فقال: البسوا السلاح، وكونوا عند أركان البيت، فإني قد أجرت محمداً، فدخل رسول الله ومعه زيد بن حارثة، حتى انتهى إلى المسجد الحرام، فقام المَطْعَمُ بن عدي على راحلته فنادى: يا معشر قريش إني قد أجرت محمداً، فلا يهجه أحد منكم، فأنتهى رسول الله إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين، وانصرف إلى بيته، والمطعم بن عدي وولده محدقون به بالسلاح حتى دخل بيته ([١]).

وفي هذه المواقف العظيمة التي وقفها النبي في رحلته إلى الطائف دليل واضح على تصميمه الجازم في الاستمرار في دعوته وعدم اليأس من استجابة الناس لها، وبتحسّن عن ميدان جديد للدعوة، بعد أن قامت الحواجز دونها في الميدان الأول.

وفي ذلك دليل على أن النبي كان أستاذاً في الحكمة، وذلك لأنه حينما قدم الطائف اختار الرؤساء وسادة

ثقيف في الطائف وقد علم أنهم إذا أجابوه أجابت كل قبائل أهل الطائف.
وفي سيل الدماء من قدمي النبي - وهو النبي الكريم - أكبر مثل لما يتحملة الداعية في سبيل الله من
أذى واضطهاد.

وفي عدم دعائه على قومه، وعلى أهل الطائف، وعدم موافقة ملك الجبال في إطباق الأخشبين على أهل
مكة أكبر مثل لما يتحملة الداعية في صبره على من رد دعوته، وعدم اليأس من هدايتهم، فرما يخرج الله
من أصلابهم من يعبد الله لا يشرك به شيئاً.

ومن حكمته أنه لم يدخل مكة إلا بعد أن دخل في جوار المطعم بن عدي، وهكذا ينبغي للداعية أن يبحث
عمن يحميه من كيد أعدائه؛ ليقوم بدعوته على الوجه المطلوب ([٢]).

([١]) انظر: زاد المعاد، ٣/٣٣، وسيرة ابن هشام، ٢/٨٢، والبداية والنهاية، ٣/٧٣١، والرحيق المختوم،
ص ٥٢١.

([٢]) انظر: السيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي، ص ٨٥، وهذا الحبيب يا محب، ص ٤٣١.





حكيمته العظيمة في جوابه لملك الجبال

عن عائشة ' أنها قالت لرسول الله : يا رسول الله هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد؟ فقال: ((لقد لقيت من قومك [ما لقيت]، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة، إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كلال([١])، فلم يجبني إلى ما أردت، فانطلقت وأنا مهموم على وجهي، فلم أستفق إلا بقرن الثعالب([٢])، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فناداني: فقال: إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردوا عليك، وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، قال: فناداني ملك الجبال وسلم عليّ، ثم قال: يا محمد! إن الله قد سمع قول قومك لك، وأنا ملك الجبال، وقد بعثني ربي إليك لتأمرني بأمرك فما شئت([٣])؟ إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين)). فقال له رسول الله: ((بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا يشرك به شيئاً))([٤]).

وفي هذا الجواب الذي أدلى به رسول الله تتجلى شخصيته الفذة، وما كان عليه من الخلق العظيم الذي

أمدّه الله به.

وفي ذلك بيان شفقتة على قومه، ومزيد صبره وحلمه، وهذا موافق لقوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ ([٥])، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ ([٦]). فصلوات الله وسلامه عليه ([٧]). وأقام بنخلة أياماً، وصمم على الرجوع إلى مكة، وعلى القيام باستئناف خطته الأولى في عرض الإسلام وإبلاغ رسالة الله الخالدة، بنشاط جديد، وجد وحماس، وحينئذ قال له زيد بن حارثة: كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك؟ فرؤي عنه ([٨]) أنه قال: ((يا زيد، إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه، ومظهر نبيه)).

[١] ابن عبد ياليل بن كلال من أكابر أهل الطائف من ثقيف. الفتح، ٣١٥/٦.

[٢] وهو ميقات أهل نجد، ويقال له: قرن المنازل، ويعرف الآن بالسيل الكبير. انظر: الفتح، ١١٥٥/٦.

[٣] استفهام، أي: فأمرني بما شئت. انظر: فتح الباري، ٣١٦/٦.

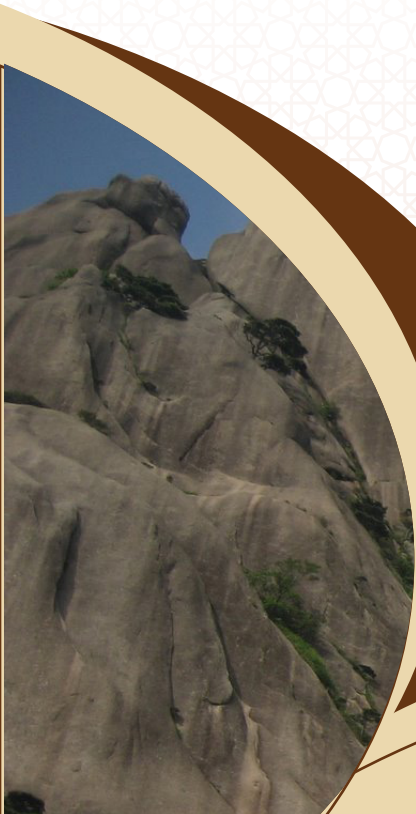
[٤] البخاري مع الفتح في كتاب بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه، ٣١٢/٦، (رقم ٣٢٣١)، ومسلم بلفظه في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين، ١٤٢٠/٣، (رقم ١٧٩٥٥). وما بين المعقوفين من البخاري دون مسلم.

[٥] سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.

[٦] سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

[٧] انظر: البخاري مع الفتح، ٣١٦/٦، والرحيق المختوم، ص ١٢٤.

[٨] انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ٣٣/٣.





مواقف النبي بعد خروجه إلى الطائف

المطلب الثالث: مواقف النبي بعد خروجه إلى الطائف:

في شوال، من السنة العاشرة بعد النبوة، خرج النبي إلى الطائف لعله يجد في ثقيف حسن الإصغاء لدعوته والانتصار لها، وكان معه زيد بن حارثة مولاه، وكان في طريقه كلما مر على قبيلة دعاهم إلى الإسلام، فلم تُجبه واحدة منها.

١- موقفه الحكيم في دعوته لأهل الطائف:

عندما وصل إلى الطائف عمد إلى رؤسائها فجلس إليهم، ودعاهم إلى الإسلام، فردوا عليه رداً قبيحاً، وأقام رسول الله بين أهل الطائف عشرة أيام، لا يدع أحداً من أشرافهم إلا جاءه وكلمه، فقالوا: اخرج من بلادنا، وأغروا به سفهاءهم وصبيانهم، فلما أراد الخروج تبعه هؤلاء السفهاء واجتمعوا عليه صفيين يرمونه بالحجارة، وبكلمات من السفه، ورجموا عراقبيه حتى اختضب نعلاه بالدماء، وكان زيد بن حارثة يقيه

بنفسه حتى أصابه شجاج في رأسه، ورجع رسول الله من الطائف إلى مكة محزوناً، كسير القلب، وفي طريقه إلى مكة أرسل الله إليه جبريل ومعه ملك الجبال يستأمره أن يطبق الأخشبين على أهل مكة، وهما جبلاها اللذان هي بينهما ([١]).

([١]) انظر: زاد المعاد، ٣١/٣، والرحيق المختوم، ص ٢٢١، وهذا الحبيب يا محب، ص ١٣٢، والبداية والنهاية، ١٣٥/٣.





أساليب سادات قريش

وكانت أساليبهم كالآتي:

١- جاءت سادات قريش إلى أبي طالب، فقالوا له: يا أبا طالب، إن لك سناً وشرفاً ومنزلة فينا، وإنا قد استنهيناك من ابن أخيك فلم تنهه، وإنا والله لا نصبر على هذا، من شتم آبائنا، وتسفيه أحلامنا، وعيب آلهمنا، حتى تكفه عنا، أو ننازله وإياك في ذلك، حتى يهلك أحد الفريقين.

فعظم على أبي طالب هذا الوعيد والتهديد الشديد، وعظم عليه فراق قومه وعداوته لهم، ولم يطب نفساً بإسلام رسول الله لهم، ولا خذلانه، فبعث إلى رسول الله فقال له: يا ابن أخي، إن قومك جاءوني فقالوا لي كذا وكذا، للذي كانوا قالوا له، فأبق عليّ وعلى نفسك، ولا تحملني من الأمر ما لا أطيق أنا ولا أنت، فاكفف عن قومك ما يكرهون من قولك.

فثبت النبي على دعوته إلى الله، ولم تأخذه في الله لومة لائم؛ لأنه على الحق، ويعلم بأن الله سينصر دينه ويعلي كلمته، وعندما رأى أبو طالب هذا الثبات ويثس من موافقة النبي لقريش على ترك دعوته إلى

التوحيد قال:

والله لن يصلوا إليك بجمعهم
فاصدع بأمرك ما عليك
غضاضة
حتى أوسد في التراب دفينا
وأبشر وقر بذاك منك
عيونا [١]

٢- بعد أن أسلم حمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب أخذت السحائب تتقشع، وأقلق هذا الموقف الجديد مضاجع المشركين، وأفزعهم وزادهم هولاً وفزعاً تزايد عدد المسلمين، وإعلانهم إسلامهم، وعدم مبالاتهم بعداء المشركين لهم، الأمر الذي جعل رجال قريش يساومون رسول الله ، فبعث المشركون عتبة بن ربيعة ليعرض على رسول الله أموراً لعله يقبل بعضها فيعطى من أمور الدنيا ما يريد.

فجاء عتبة حتى جلس إلى رسول الله ، فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث قد علمت من السطة [٢] في العشيرة، والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت به جماعتهم، وسفّته به أحلامهم، وعبت به آلهتهم ودينهم، وكفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً، تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها، قال رسول الله : ((قل أبا الوليد أسمع))، قال: يا ابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت إنما تريد به شرفاً سوّدناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، وإن كنت تريد به ملكاً ملّكناك علينا، وإن كان هذا الذي يأتيك ريثاً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب، وبذلنا فيه أموالنا، حتى نبرئك منه، فإنه ربما غلب التابع على الرجل حتى يداوى منه... حتى إذا فرغ عتبة، ورسول الله يستمع منه، قال: ((أفرغت أبا الوليد؟)) قال نعم، قال: ((فاستمع مني)) قال: افعل، فقال: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * حم * تَنْزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ ...﴾ [٣]. ثم مضى رسول الله فيها يقرؤها عليه،

فلما سمعها منه عتبة أنصت لها، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليها يسمع منه، ثم انتهى رسول الله إلى السجدة منها فسجد، ثم قال: ((قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت وذاك)) [٤].

وفي رواية أخرى أن عتبة استمع حتى جاء الرسول إلى قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾ [٥]، فقام مذعوراً فوضع يده على فم رسول الله يقول: أنشدك الله والرحم،





وطلب منه أن يكف عنه، فرجع إلى قومه مسرعاً كأن الصواعق ستلاحقه، واقترح على قريش أن تترك محمداً وشأنه، وأخذ يرغبهم في ذلك ([6]).

لقد تخير رسول الله - بفضل الله - تعالى - ثم بحكمته العظيمة هذه الآيات من الوحي، ليعرف عبته حقيقة الرسالة والرسول، وأن محمداً يحمل كتاباً من الخالق إلى خلقه، يهديهم من الضلال، وينقذهم من الخبال، ومحمداً قبل غيره مكلف بتصديقه والعمل به، والوقوف عند أحكامه، فإذا كان الله يأمر الناس بالاستقامة على أمره، فمحمداً أولى الناس بذلك، وهو لا يطلب ملكاً ولا مالاً ولا جاهاً، لقد مكنه الله من هذا كله، فعف عنه وترفع أن يمد يديه إلى هذا الحطام الفاني؛ لأنه صادق في دعوته، مخلص لربه، ([7]). وهذا موقف من أعظم مواقف الحكمة التي أوتيها النبي، فهو قد ثبت وصدق في دعوته، ولم يرد مالاً، ولا جاهاً، ولا ملكاً، ولا نكاحاً، من أجل أن يتخلى عن دعوته، وقد اختار الكلام المناسب في الموضوع المناسب، وهذا هو عين الحكمة.

٣- قرر المشركون ألا يألوا جهداً في محاربة الإسلام وإيذاء النبي ومن دخل معه في الإسلام، والتعرض لهم بألوان النكال والإيلام.

ومنذ جهر النبي بدعوته إلى الله، وبين أباطيل الجاهلية، انفجرت مكة بمشاعر الغضب، وظلت عشرة أعوام تعد المسلمين عصاة ثائرين، فزلزلت الأرض من تحت أقدامهم، واستباححت في الحرم الآمن دماءهم وأموالهم وأعراضهم، وصاحبت هذه النار المشتعلة حرب من السخرية والتحقير، والاستهزاء والتكذيب، وتشويه تعاليم الإسلام، وإثارة الشبهات، وبث الدعايات الكاذبة، ومعارضة القرآن، والقول بأنه أساطير الأولين، ومحاولة المشركين للنبي أن يعبد آلهتهم عاماً، ويعبدون الله عاماً! إلى غير ذلك من مفاوضاتهم المضحكة!

واتهموا النبي بالجنون، والسحر، والكذب والكهانة، والنبي ثابت صابر محتسب يرجو من الله النصر لدينه، وإظهاره ([8]).

لقد نال المشركون من النبي ما لم ينالوه من كثير من المؤمنين، فهذا أبو جهل يعتدي على النبي ليعفر وجهه في التراب، ولكن الله حماه منه، ورد كيده في نحره، فعن أبي هريرة قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم؟ قال: قيل: نعم. فقال: واللوات والعزى، لئن رأيته يفعل ذلك لأطأن على رقبته، أو لأعفرن وجهه في التراب، قال: فأتى





رسول الله وهو يصلي، زعم ليطأ على رقبتة. قال: فما فجئهم ([٩]) منه إلا وهو ينكص على عقبيه ([١٠])، ويتقي بيديه، قال: فقيل له: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار، وهولاً، وأجنحة، فقال رسول الله: ((لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً)). قال: فأنزل الله: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّا﴾ إلى آخر السورة ([١١]).

وقد عصم الله النبي من هذا الطاغية ومن غيره، وصبر على هذا الأذى العظيم ابتغاء وجه الله - تعالى -، فضحى بنفسه وماله ووقته في سبيل الله تعالى.

٤- ومما أصيب به محمد من الأذى بتحريض هذا الطاغية ما رواه ابن مسعود قال: بينما رسول الله يصلي عند البيت، وأبو جهل وأصحاب له جلوس، وقد نحرت جزور بالأمس، فقال أبو جهل: أيكم يقوم إلى سلا ([١٢]) جزور بني فلان، فيأخذه فيضعه على ظهر محمد إذا سجد، فانبعث أشقى القوم ([٣١]) فأخذه، فلما سجد النبي وضعه بين كتفيه، قال: فاستضحكوا، وجعل بعضهم يميل على بعض، وأنا أنظر، لو كانت لي منعة طرحته عن ظهر رسول الله، والنبي ساجد ما يرفع رأسه، حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة، فجاءت وهي جويرية، فطرحته عنه، ثم أقبلت عليهم تشتمهم، فلما قضى النبي صلاته، رفع صوته، ثم دعا عليهم، وكان إذا دعا دعا ثلاثاً، وإذا سأل سأل ثلاثاً، ثم قال: ((اللهم عليك بقريش)) ثلاث مرات، فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك، وخافوا دعوته، ثم قال: ((اللهم عليك بأبي جهل بن هشام، وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط))، وذكر السابع ولم أحفظه، فوالذي بعث محمداً بالحق لقد رأيت الذي سمي صرعى يوم بدر، ثم سحبوا إلى القليب، قليب بدر ([١٤]).

٥- ومن أشد ما صنع به المشركون ما رواه البخاري في صحيحه عن عروة بن الزبير، قال: قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله؟ قال: بينما رسول الله يصلي في حجر الكعبة،

إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب رسول الله ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه خنقاً

شديداً، فأقبل أبو بكر، فأخذ بمنكبه، ودفعه عن رسول الله وقال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ﴾

رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ ([١٥]).

وقد اشتد أذى المشركين لرسول الله ولأصحابه، حتى جاء بعض الصحابة

إلى رسول الله يستنصره، ويسأل منه الدعاء والعون، ولكن النبي

الحكيم واثق بنصر الله وتأييده، فإن العاقبة للمتقين.

عن خباب بن الأرت قال: شكونا إلى رسول الله وهو متوسد بردة



له في ظل الكعبة، [ولقد لقينا من المشركين شدة]، فقلنا: ألا تستنصر لنا، ألا تدعو لنا؟ فقال: ((قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له في الأرض، فيجعل فيها، فيجاء بالمنشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين، ويمشط بأمشاط الحديد [ما دون عظامه من لحم وعصب]، فما يصده ذلك عن دينه، والله ليتمنن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون))([١٦]).

وهكذا اشتد أذى قريش على رسول الله وعلى أصحابه، وما ذلك كله إلا من أجل إعلاء كلمة الله، والصدع بالحق، والثبات عليه، والدعوة إلى التوحيد الخالص، ونبذ عادات الجاهلية وخرافات الوثنية.

٦- لقي النبي أشد الأذى، ووصل الأمر إلى تغيير اسمه احتقاراً له ولدينه، وحسداً وبغضاً له، فقد كان المشركون من قريش من شدة كراحتهم للنبي لا يسمونه باسمه الدال على المدح، فيعدلون إلى ضده، فيقولون: مذمم، وإذا ذكروه بسوء قالوا: فعل الله بمذمم، ومذمم ليس هو اسمه ولا يعرف به، فكان الذي يقع منهم في ذلك مصروفاً إلى غيره بحمد الله تعالى([١٧]).

قال : ((ألا تعجبون كيف يصرف الله عني شتم قريش، ولعنهم؟! يشتمون مذمماً، ويلعنون مذمماً، وأنا محمد))([١٨]).

والنبي له خمسة أسماء ليس منها مُذَمِّماً([١٩]).

جاءت أم جميل زوجة أبي لهب - حين سمعت ما أنزل الله فيها وفي زوجها من القرآن - إلى رسول الله وهو جالس في المسجد عند الكعبة، ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها ماء الكف من حجارة، فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله فلا ترى إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر! أين صاحبك؟ قد بلغني أنه يهجوني، والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت:

مُذَمِّماً عَصِينَا وَأَمْرَهُ أَبِينَا وَدِينَهُ قَلِينَا [٢٠]

استمر المشركون في إلحاق الأذى برسول الله وبأصحابه الذين أسلموا، وبعد أن زاد عدد المسلمين وكثر عددهم ازداد حنق المشركين على المسلمين، وبسطوا إليهم أيديهم وألسنتهم بالسوء، ولما رأى رسول الله ذلك، ورأى أنه في حماية الله ثم عمه أي طالب، وهو لا



يستطيع أن يمنع المسلمين مما هم فيه من العذاب - فقد مات منهم من مات، وعذب من عذب حتى عمي وهو تحت العذاب - فأذن رسول الله لأصحابه بالهجرة إلى الحبشة، فكان أهل هذه الهجرة الأولى اثني عشر رجلاً، وأربع نسوة، ورئيسهم عثمان بن عفان، ذهبوا فوفق الله لهم ساعة وصولهم إلى الساحل سفينتين، فحملوهم فيها إلى أرض الحبشة، وكان ذلك في رجب، في السنة الخامسة من البعثة، وخرجت قريش في آثارهم حتى جاءوا البحر فلم يدركوا منهم أحداً، ثم بلغ هؤلاء المهاجرين أن قريشاً قد كفوا عن النبي فرجعوا إلى مكة من الحبشة، وقبل وصولهم مكة بساعة من نهار بلغهم أن الخبر كذب، وأن قريشاً أشد ما كانوا عداوة لرسول الله فدخل من دخل مكة بجوار، وكان من الداخلين ابن مسعود، ووجد أن ما بلغهم من إسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل منهم أحد إلا بجوار - كابن مسعود - أو مستخفياً، ثم اشتد البلاء من قريش على من دخل مكة من المهاجرين وغيرهم، ولقوا منهم أذىً شديداً، فأذن لهم رسول الله في الخروج إلى الحبشة مرة ثانية، وكان عدد من خرج في هذه المرة الثانية ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان فيهم عمار بن ياسر، ومن النساء تسعة عشرة امرأة، فكان المهاجرون في مملكة أصحمة النجاشي آمنين، فلما علمت قريش بذلك أرسلت للنجاشي بهدايا وتحف ليردهم عليهم، فمنع ذلك عليهم، ورد عليهم هداياهم، وبقي المهاجرون في الحبشة آمنين حتى قدموا إلى رسول الله عام خيبر ([٢١]).

٨- ولما رأت قريش انتشار الإسلام، وكثرة من يدخل فيه، وبلغها ما لقي المهاجرون في بلاد الحبشة، من إكرام وتأمين، مع عودة وفدها خائباً، اشتد حنقها على الإسلام، وأجمعوا على أن يتعاقدوا على بني هاشم، وبني عبد المطلب، وبني عبد مناف، وأن لا يبايعوهم، ولا يناكحوهم، ولا يكلموهم، ولا يجالسوهم، حتى يسلموا إليهم رسول الله، وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة، فانحاز بنو هاشم، وبنو عبد المطلب مؤمنهم وكافرهم إلا أبا لهب، فإنه بقي مظاهراً لقريش على رسول الله وعلى بني هاشم، وبني عبد المطلب.

وحبَسَ رسول الله في شعب أبي طالب ليلة هلال محرم، سنة سبع من البعثة، وبقوا محصورين محبوسين، مضيقاتاً عليهم جداً، مقطوعاً عليهم الطعام والمادة نحو ثلاث سنين حتى بلغهم الجهد، وسمِعَ أصوات صبيانهم بالبكاء من وراء الشعب، ثم أطلع الله رسوله على أمر الصحيفة، وأنه أرسل عليها الأرضة فأكلت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم إلا ذكر الله، فأخبر عمه، فخرج إلى قريش فأخبرهم أن محمداً قد قال





كذا وكذا، فإن كان كاذباً خلدنا بينكم وبينه، وإن كان صادقاً رجعتم عن قطيعتنا وظلمنا، قالوا: قد أنصفت، فأنزلوا الصحيفة، فلما رأوا الأمر كما أخبر به رسول الله ازدادوا كفرًا إلى كفرهم، وخرج رسول الله ومن معه من الشعب بعد عشرة أعوام من البعثة، ومات أبو طالب بعد ذلك بستة أشهر، وماتت خديجة بعده بثلاثة أيام، وقيل غير ذلك ([٢٢]).

ولما نُقِصَت الصحيفة وافق موت أبي طالب وموت خديجة وبينهما زمن يسير، فاشتد البلاء على رسول الله من سفهاء قومه، وتجرؤوا عليه فكاشفوه الأذى، وخرج إلى الطائف رجاء أن يستجيبوا لدعوته أو يؤووه أو ينصروه على قومه، فلم ير من يؤوي، ولم ير ناصرًا، وأذوه مع ذلك أشد الأذى، ونالوا منه ما لم ينله قومه ([٢٣]).

[١] انظر: سيرة ابن هشام، ٢٧٨/١، وانظر: البداية والنهاية، ٢٤/٣، وفقه السيرة للغزالي، ص ١١٤، والرحيق المختوم، ص ٩٤.

[٢] يعني: المنزلة الرفيعة. انظر: المصباح المنير، مادة (سطا)، ص ٢٧٦، والقاموس المحيط، باب الواو، فصل السين، ص ١٦٧٠.

[٣] سورة فصلت، الآيات: ١-٥.

[٤] أخرج هذه القصة ابن إسحاق في المغازي، ٣١٣/١ من سيرة ابن هشام، قال الألباني: >إسناده حسن إن شاء الله<. انظر: فقه السيرة للغزالي، ص ٣١١، وتفسير ابن كثير، ٦١/٤، والبداية والنهاية، ٦٢/٣، والرحيق المختوم، ص ١٠٣.

[٥] سورة فصلت، الآية: ١٣.

[٦] انظر: البداية والنهاية، ٦٢/٣، وتفسير ابن كثير، ٦٢/٤، وتاريخ الإسلام للذهبي،

قسم السيرة، ص ٨٥١، وفقه السيرة لمحمد الغزالي، ص ١١٤، وهذا الحبيب يا محب، ص ١٠٢.

[٧] انظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص ١١٣.

[٨] انظر: فقه السيرة لمحمد الغزالي، ص ١٠٦، والرحيق المختوم،

ص ٨٠، ٨٢، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ٨٥/٢، و٨٨، و٩١، و٩٣، و٩٤، وهذا الحبيب يا محب، ص ١١٠.

- ([٩]) ويقال أيضاً: فجأهم، أي بغتهم. انظر: شرح النووي، ١٤٠/١٧.
- ([١٠]) يرجع يمشي إلى ورائه. انظر: المرجع السابق ١٤٠/١٧.
- ([١١]) أخرجه مسلم في كتاب المنافقين، باب قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَاذِبٌ ۗ أَلَمْ يَرَأْهُ اسْتَخْنَىٰ﴾ ٢١٥٤/٤، (رقم ٢٧٩٧)، وانظر: شرح النووي، ١٤٠/١٧.
- ([١٢]) السلا: هو اللفافة التي يكون فيها الولد في بطن الناقة وسائر الحيوان، وهي من الآدمية: المشيمة. انظر: شرح النووي، ١٥١/١٢.
- ([١٣]) هو عقبة بن أبي معيط، كما صرح في رواية لمسلم في صحيحه، ١٤١٩/٣.
- ([١٤]) البخاري مع الفتح، في كتاب الوضوء، باب إذا أُلقيَ على ظهر المصلي قذر أو جيفة لم تفسد عليه صلاته، ٣٤٩/١ (رقم ٢٤٠)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين ١٤١٨/٢ (رقم ١٧٩٤٤).
- ([١٥]) سورة غافر، الآية: ٢٨.
- والحديث في البخاري مع الفتح، في كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة ١٦٥/٧ (رقم ٣٨٥٦)، وكتاب التفسير، سورة المؤمن ٥٥٣/٨ (رقم ٤٨١٥)، وكتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: <لو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً>، ٢٢/٧ (رقم ٣٦٧٨). واللفظ ملفق من كتاب المناقب، وكتاب التفسير.
- ([١٦]) البخاري مع الفتح في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام، ٦١٩/٦، (رقم ٣٦١٢)، وفي كتاب مناقب الأنصار، باب ما لقي النبي ﷺ وأصحابه من المشركين بمكة، ١٦٤/٧، (رقم ٣٨٥٢)، وفي كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر، ٣١٥/٢١، (رقم ٦٩٤٣)، واللفظ من كتاب الإكراه، وما بين المعقوفين من مناقب الأنصار.
- ([١٧]) انظر: فتح الباري، ٥٥٨/٦.
- ([١٨]) البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، (رقم ٣٥٣٣).
- ([١٩]) انظر: البخاري مع الفتح، كتاب المناقب، باب ما جاء في أسماء رسول الله ﷺ، (رقم ٥٥٤/٦)، (رقم ٣٥٣٢).



[[٢٠]] انظر: سيرة ابن هشام، ٣٧٨/١، ومعنى قولها: قلينا: أي أبغضنا. انظر: تفسير ابن كثير، ٥٢٣/٤، ١٠٩/٢، ١٢٧، ١٢٨، وتاريخ الإسلام للذهبي - قسم السيرة، ص ١٢٦، ١٣٧٧، والرحيق المختوم، ص ١١٢.

[[٢٣]] انظر: زاد المعاد، ٣١/٣، والرحيق المختوم، ص ١١٣.

[[٢١]] انظر: زاد المعاد لابن القيم، ٢٣/٣، ٦٣، ٣٨، والرحيق المختوم، ص ٨٩، وهذا الحبيب يا محب، ص ٢١، وسيرة ابن هشام، ٣٤٣/١، والبداية والنهاية، ٦٦/٣، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاکر، ٩٨/٢، ١٠٩، وتاريخ الإسلام للذهبي، قسم السيرة، ص ١٨٣.

[[٢٢]] انظر: زاد المعاد، ٣٠/٣، وسيرة ابن هشام، ٣٧١/١، البداية والنهاية، ٤٦/٣، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاکر،





مواقفه في مرحلة الدعوة الجهرية بمكة

أمر الله نبيه بإنذار عشيرته الأقربين، فقال ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ، وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِيَّيَّ بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (١١).

فقام رسول الله بتنفيذ أمر ربه بالجهر بالدعوة والصدع بها، وإنذار عشيرته، فوقف مواقف حكيمة أظهر الله بها الدعوة الإسلامية، وبين بها حكمة النبي وشجاعته، وصبره وإخلاصه لله رب العالمين، وقمع بها الشرك وأهله، وأذلهم إلى يوم الدين. ومن هذه المواقف الحكيمة ما يأتي:

(أ) موقفه الحكيم في صعوده على الصفا ونداؤه العام:

عن ابن عباس ^٨ قال: لما نزلت ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ صعد النبي على الصفا فجعل ينادي: ((يا بني فهر، يا بني عدي)) - لبطون قريش - حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب، وقريش، فقال: ((أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم،



أكنتم مصدقي))؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً. قال: ((فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)). فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ * مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ﴾ ([٢]).

وفي رواية لأبي هريرة رضى الله عنه أنه ناداهم بطناً بطناً، ويقول لكل بطن: ((أنقذوا أنفسكم من النار...))، ثم قال: ((يا فاطمة أنقذي نفسك من النار؛ فإني لا أملك لكم من الله شيئاً، غير أن لكم رحماً سأبلاها ببلاها)) ([٣]).

وهذه الصحيحة العالمية غاية البلاغ، وغاية الإنذار، فقد أوضح لأقرب الناس إليه أن التصديق بهذه الرسالة هو حياة الصلة بينه وبينهم، وأوضح أن عصبية القرابة التي يقوم عليها العرب ذابت في حرارة هذا الإنذار، الذي جاء من عند الله تعالى، فقد دعا قومه - في هذا الموقف العظيم - إلى الإسلام، ونهاهم عن عبادة الأوثان، ورغبتهم في الجنة، وحذرهم من النار، وقد ماجت مكة بالغرابة والاستنكار، واستعدت لحسم هذه الصرخة العظيمة التي ستزلزل عاداتها وتقاليدها وموروثاتها الجاهلية؛ ولكن الرسول الكريم لم يضرب لصرخاتهم حساباً، لأنه مرسل من الله تعالى، ولا بد أن يبلغ البلاغ المبين عن رب العالمين، حتى ولو خالفه أو رد دعوته جميع العالمين، وقد فعل ([٤]).

استمر يدعو إلى الله - تعالى - ليلاً ونهاراً، سراً وجهاراً، لا يصرفه عن ذلك صارف، ولا يرده عن ذلك راداً، ولا يصده عن ذلك صاداً، استمر يتتبع الناس في أنديتهم ومجامعهم ومحافلهم، وفي المواسم ومواقف الحج، يدعو من لقيه من: حر وعبد، وقوي وضعيف، وغني وفقير، جميع الخلق عنده في ذلك سواء.

وقد تسلط عليه وعلى من اتبعه الأشداء الأقوياء من مشركي قريش بالأذية القولية والفعلية، وانفجرت مكة بمشاعر الغضب؛ لأنها لا تريد أن تفارق عبادة الأصنام والأوثان ([٥])، ومع ذلك لم يفتر محمد في دعوته، ولم يترك العناية والتربية الخاصة لأولئك الذين دخلوا في الإسلام، فقد كان يجتمع

بالمسلمين في بيوتهم على شكل أسر بعيدة عن أعين قريش، وتتكون هذه الأسر

من الأبطال الذين عقد عليهم رسول الله الأمل بعد الله - تعالى - في حمل

العبء والمهام الجسيمة لنشر الإسلام، وبذلك تكونت طبقة خاصة من

المؤمنين الأوائل قوية في إيمانها، متينة في عقيدتها، مدركة لمسئوليتها،

منقادة لأمر ربها، طائعة لقائدها، مطبقة لكل أمر يصدر عنه برغبة

وشوق واندفاع لا يعادله اندفاع، وحب لا يساويه حب.



وبهذه المواقف الحكيمة، والتربية الصالحة المتينة استطاع محمد أن يؤدي الأمانة، ويبلغ الرسالة، وينصح الأمة، ويجاهد في الله حق جهاده، ويرسم لنا طريقاً نسير عليه في دعوتنا وعملنا وسلوكنا، فهو قدوتنا وإمامنا الذي نسير على هديه، ونستنير بحكمه .

فقد بدأ الدعوة بعناصر اختارها ورباها، فلبت الدعوة، وآمنت به، وكانت دعوته عامة للناس، وفي أثناء هذه الدعوة يركز على من يجد عندهم الإمكانيات أو يتوقع منهم ذلك، وقد تكوّن من هذه العناصر نواة القاعدة الصلبة التي ثبتت عليها أركان الدعوة ([٦]).

ومع هذا الجهد المبارك العظيم لم يلجأ رسول الله إلى الاغتيال السياسي، ولم يتخلص بالاغتيال من أفراد بأعينهم، وكان بإمكانه ذلك وبكل يسر وسهولة، إذ كان يستطيع أن يكلف أحد الصحابة بقتل بعض قادة الكفر: كالوليد بن المغيرة المخزومي، أو العاص بن وائل السهمي، أو أبي جهل عمرو بن هشام، أو أبي لهب: عبد العزى ابن عبد المطلب، أو النضر بن الحارث، أو عقبة بن أبي معيط، أو أبي بن خلف، أو أمية بن خلف...، وهؤلاء هم من أشد الناس أذية لرسول الله، فلم يأمر أحداً من أصحابه باغتيال أحد منهم أو غيرهم من أعداء الإسلام؛ فإن مثل هذا الفعل قد يؤدي بالجماعة الإسلامية كاملة، أو يعرقل مسيرتها مدة ليست باليسيرة، كرد فعل من أعداء الإسلام، الذين يتكالبون على حربته، والنبي لم يؤمر في هذه المرحلة باغتيالهم؛ لأن الذي أرسله هو أحكم الحاكمين.

وعلى هذا يجب أن يسير الدعاة إلى الله فوق كل أرض، وتحت كل سماء، وفي كل وقت، يجب أن تكون الدعوة على حسب المنهج الذي سار عليه رسول الله سواء كان ذلك قبل الهجرة أو بعدها، فطريق الدعوة الصحيح هو هديه والتزام أخلاقه وحكمه وتصرفاته على حسب ما أرادها ([٧]).

(ب) صموده وثباته أمام ممثلي قريش واضطهادهما:

رأت قريش أن تجرب أسلوباً آخر تجمع فيه بين الترغيب والترهيب، فلترسل إلى محمد تعرض عليه من الدنيا ما يشاء، ولترسل إلى عمه الذي يحميه تحذره مغبة هذا التأييد والنصر لمحمد، وتطلب منه أن يكف عنها محمداً ودينه ([٨]).

([١]) سورة الشعراء، الآيات: ٢١٤-٢١٦.

([٢]) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ﴾

الأقربين، ٥٠١/٨، (رقم ٤٧٧٠)، ومسلم بنحوه في كتاب الإيمان، باب



- قوله: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾، ١٩٤/١، (رقم ٢٠٨)، والآيتان من سورة المسد: ١-٢.
- ([٣]) البخاري مع الفتح، كتاب التفسير، سورة الشعراء، باب ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ٣٨٢/٥، ٥٠١/٨، ومسلم، كتاب الإيمان، باب: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ ١٩٢/١ (رقم ٢٠٦٦).
- ([٤]) انظر: الرحيق المختوم، ص ٨٧، وفقه السيرة لمحمد الغزالي، ص ١٠١، والسيرة النبوية دروس وعبر لمصطفى السباعي، ص ٧٤.
- ([٥]) البداية والنهاية، ٤٠/٣.
- ([٦]) التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، ٦٥/٢.
- ([٧]) انظر: التاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، ٦٥/٢.
- ([٨]) انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٤١/٣، وفقه السيرة لمحمد الغزالي ص ٢١١.



المبحث الأول: مواقف النبي قبل الهجرة

المطلب الأول: مواقفه في مرحلة الدعوة السرية

من المعلوم أن مكة كانت مركز دين العرب، وكان بها سدنة الكعبة، والقوَّام على الأوثان والأصنام المقدسة عند سائر العرب، فالوصول إلى المقصود من الإصلاح فيها يزداد عسراً وشدة عما لو كان بعيداً عنها، فالأمر يحتاج إلى عزيمة قوية لا تزلزلها المصائب والكوارث، ويحتاج إلى موقف حكيم يحل الوضع الراهن، وتنجح الدعوة من خلاله، ولاشك أن الفضل والمنة لأحكم الحاكمين الذي ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ ([١])، فإنه سبحانه قد أعطى محمداً الحكمة ووفقه، وسدده وأعانته.

ولهذا بدأ بالدعوة السرية بعد أن أمره ربه - تبارك وتعالى - بإنذار قومه عاقبة ما هم فيه من الشرك، وما هم عليه من الكفر والفساد، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجُزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمَنَّ عَلَى مَن تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ ([٢]).

ومن هنا بدأ رسول الله يسلك طريق الحكمة في حل الحالة الراهنة في قريش، فوقف المواقف العظيمة



التي يعجز عنها عظماء الرجال بل البشر جميعاً.

بدأ ﷺ يعرض دعوته على ألق الناس به، وأهل بيته، وأصدقائه، ومن توسم فيهم خيراً ممن يعرفهم ويعرفونه، يعرفهم بحب الخير والحق، ويعرفونه بتحري الصدق والصلاح، فأجابه من هؤلاء جمع عرفوا في التاريخ الإسلامي بالسابقين الأولين، فكان أول من أسلم زوج النبي خديجة بنت خويلد، ثم علي بن أبي طالب ثم مولاه زيد بن حارثة الكلبي ثم أبو بكر الصديق.

ونشط أبو بكر في دعوة رجال كان لهم أثر عظيم في الإسلام، أمثال: عثمان بن عفان، والزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وطلحة بن عبيد الله، فهؤلاء النفر الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق بالإضافة إلى علي، وزيد، وأبي بكر، يصبحون ثمانية، هم الذين سبقوا الناس، وهم الرعيل الأول وطلبة الإسلام.

ودخل الناس في دين الله واحداً بعد واحد، حتى فشا الإسلام في مكة، وتحدثت به، وقد كان النبي يجتمع بهم ويعلمهم ويرشدهم مختفياً؛ لأن الدعوة لا تزال فردية وسرية، وكان الوحي قد تتابع، وحمي نزوله بعد نزول أوائل المدثر، ولم يكن يظهر الدعوة في مجامع قريش العامة، ولم يكن المسلمون الأوائل يتمكنون من إظهار دينهم وعبادتهم، حذراً من تعصب قريش لجاهليتها وأوثانها، وإما كانوا يخفون ذلك ([٣]).

ولقد بلغ المسلمون عدداً يقرب الأربعين رجلاً، وما زالت الدعوة سرّاً لم يجهر بها بين صفوف قريش؛ لأن الرسول الحكيم يعلم أن هذا العدد غير كافٍ في دفع ما يتوقع من أذى يصيب به قريش المسلمين، وكان من الضروري أن يجتمع بهم رسول الله على شكل جماعات يرشدهم، ويعلمهم؛ ليكون منهم القاعدة الصلبة التي يمكن أن يواجه بها أولئك الذين يقفون في وجه دعوة التوحيد، وقد اختيرت دار الأرقم بن أبي الأرقم المخزومي فكان يلتقي بهم على شكل أسر يعلمهم أمور دينهم، وكان إلى جانب دار الأرقم - المركز الرئيسي - دور أخرى تكون مراكز فرعية، حيث يذهب إليهم رسول الله أحياناً دون

انتظام، أو ينتظم فيها الصحابة الذين يختارهم رسول الله، مثل دار سعيد بن زيد، ولكن الأرقم بن أبي الأرقم قد فاز بمنقبة عظيمة، وهي اتخاذ داره مركزاً رئيسياً للدعوة أيام ضعفها واستخفافها، وهي أخرج أوقات مرّت بها الدعوة ([٤]).

وهكذا مرت ثلاث سنين، والدعوة لم تزل سرية وفردية، وخلال هذه الفترة تكونت جماعة من المؤمنين تقوم على الأخوة، والتعاون،



وتبليغ الرسالة، وتمكينها من مقامها.

وبعد أن أسلم عم النبي حمزة بن عبد المطلب وبعض وجهاء قريش، الذين لهم شأن عظيم، وقويت بهم الجماعة الإسلامية: كعمر بن الخطاب رضى الله عنه نزل قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ * إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ﴾ ([٥]).

وهذا يدل دلالة واضحة على أن الله قد أعطى نبيه الكريم الحكمة؛ ولهذا قام بهذه المواقف الحكيمة المشرفة التي تكون نبراساً للداعية إلى الله يسير على مقتضاها، وخاصة في دعوة المجتمعات الوثنية الكافرة، أما المجتمعات الإسلامية فلا دليل لمن يرى سرية الدعوة في بلاد المسلمين.

أما سرية الدعوة في عهد النبي في أول البعثة؛ فلأن الرسول وأصحابه كان لا يسمح لهم أن يقولوا: لا إله إلا الله، محمد رسول الله، ولا أن يؤذنوا، أو يصلوا، ولما قويت شوكته أمر الله رسوله بالجهر بالدعوة فجهروا بها، ولاقوا من الأذى ما هو معروف بين المسلمين ([٦]).

([١]) سورة البقرة: الآية: ٢٦٩.

([٢]) سورة المدثر، الآيات: ١-٧.

([٣]) انظر: سيرة ابن هشام، ٢٦٤/١، وتاريخ الإسلام للإمام الذهبي - قسم السيرة -، ص ١٢٧، والبداية والنهاية لابن كثير، ٣٧-٢٤/٣، وزاد المعاد، ١٩/٣، ومختصر سيرته ﷺ للإمام محمد بن عبد الوهاب، ص ٥٩، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ٥٧/٢، وهذا الحبيب يا محب، ص ٩١١.

([٤]) انظر: البداية والنهاية، ٣١/٣، والتاريخ الإسلامي لمحمود شاكر، ٦٢/٢، وهذا الحبيب يا محب، ص ٩٧.

([٥]) سورة الحجر، الآيات: ٩٤-٩٦.

([٦]) انظر: الرحيق المختوم، ص ٥٧، والتاريخ الإسلامي، لمحمود شاكر، ٢٦/٢، وهذا

الحبيب يا محب، ص ٩٩.





مكانة مواقف النبي في نفس الداعية والمدعو

للنبي مواقف حكيمة مشرفة، والداعية إلى الله حينما يقف ويتأمل المواقف التي وقفها النبي في دعوته إلى الله يزداد حكمة، ويستفيد من هذه المواقف في دعوته، ويطبق الحكم التي يقتبسها من مواقفه في دعوته، فالنبي هو الأسوة الحسنة التي ينبغي لكل مسلم أن يلتزمها ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [١].

وسأذكر بعون الله - تعالى - في هذه الرسالة نماذج من مواقف النبي التي وقفها في دعوته إلى الله تعالى، ومواقفه في هذا الشأن كثيرة جداً لا يستطيع أحد أن يستغرقها، ولكنني سأذكر بعضها على سبيل المثال لا الحصر في المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: مواقف النبي قبل الهجرة.

المبحث الثاني: مواقف النبي بعد الهجرة.

[١] سورة الأحزاب، الآية: ١٢.



رسول الله

www.rasoulallah.net